كتاب تربية بأسلوب سهل

للأسرة والكبير والصغير

مُتَفَرِّقَاتٌ

لِلْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ

ويليه

مَعَ أَشْرَفِ نَفْسٍ وَأَكْرَمِ بَيْتٍ

تأليف

أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ طَاحُونَ

رقم الايـداع : ٢٠٠٩ / ١٠٣٥٩

القاهرة فى عام : ١٤٢٧هـ
٢٠٠٦م

أولًا : تمهيد

هذا الكتاب

بسم اللَّه الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف خلْق اللَّه .

أمَّا بعد :

فقد تضمَّن هذا الكتاب رسالتين :

الأولى مقالات قصيرة سهلة الأسلوب ، فيها خيرٌ كثيرٌ : فى التربية السليمة ، والوعى فى الطريق الصحيح ، والتبصرة للبنين والبنات وللآباء والأمهات ، وللكبار والصِّغار ، مع تدريب ذوى المواهب عمليًّا على كتابة المقال الهادف بدون إطالة ، مع سلاسة الأسلوب ، وحسن اختيار الألفاظ ، والدِّقة فى الصِّحة والسلامة .

وفى الرسالة الثانية :

نُحاوِلُ فيها أنْ نعيشَ مع أعظَمِ نفْسٍ ، وأكرم

إنسانٍ ، وأفضلِ أهْلِ السماواتِ والأَرَضِينَ : نعِيشُ معَه فِى معِيشَتِه الخاصَّة فى طعامِه وشرابِه وفِى تواضُعِه ، وفى لِينِه ورِفْقِه ﷺ ونَرَى فِى مرآةِ هذه الرسالةِ البَسِيطَةِ الصورةَ الصحيحةَ للإنسانِ فى أجْمَلِ وأكْمَلِ حياةٍ فِى جميعِ العلاقاتِ الإنسانيةِ ، وضرورة تأكيدِ مَحَبَّتِنا له والاقتداء به ، ومداومة الصلاة عليه .

مُهداةٌ لكُلِّ إنسانٍ ، ولأفرادِ الأسرةِ ، وللواعِظِ وللمُعَلِّمِ ، ولطالبِ أعظمِ وأنْفَعِ الأخلاقِ .

نسألُ اللَّهَ أنْ يَنْفَعَنا بِسِيرَتِه وهَدْيِهِ ﷺ .

أحمد بن محمد طاحون

القاهرة فى عام : ١٤٢٨هـ

٢٠٠٧م

* * * *

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾

[الأنعام : ٩٠]

بسم اللّه أبداً ، وتوْفيقَه أسألُ ، وعليه سبحانه أَتَوَكَّلُ ، والخيرَ أَرجُو ، فاللَّهُمَّ اجْعَلْه فى ميزان الحسنات ، وصلاتُه وسلامُه على نبىِّ الهُدى الرحمة .

يا ربِّ.. يا كريمُ يا عظيمَ الإحسانِ

يا عظيمَ الإحسانِ ، الْتَجَأْنا إليك وحْدَك ، فلن نَخيبَ، ولن نَضيعَ.

يا كاملَ الإنعامِ: أعطيتَنا بغيرِ سُؤالٍ، ورزَقْتَنا من غيرِ اسْتيجابٍ، ورحمْتَنا من غير استحقاقٍ، ومع غَفْلَتِنا، فنحنُ نَطمعُ فى رِضاك عنَّا، فأنتَ أرحمُ الراحمين، وأكْرَمُ الأكرمينَ.

يا مَن لا يَغيبُ عنه شيءٌ، وتَغيبُ عنَّا أشياءُ، وأشياءُ، وأشياءُ، لا تَتْرُكْنا يا كاملَ القُدْرةِ نَتَخبَّطُ فى ظلامٍ لا ضَوءَ فيه، أنت أعلمُ بِنا وبأَحْوَالِنا من عِلْمِنا بأنفسِنا وأحوالِنا، وقد وَسِعَتْ رحمتُك كلَّ شىءٍ، لا

تَسْحَبُ حَبْلَ الرَّجاءِ من نُفُوسِنا وأيْدِينا فنتَهَاوَى، ولا مُجِيرَ ولا مُغيثَ لنا سِواكَ .

من تَوَسَّل إليكَ لا يَضِيعُ بفضلٍ منك وإحسانٍ :

ونحنُ نتوسَّلُ إليك بأسمائِك الحُسنَى ، وصفاتِك العُليا ، أن تُحقِّقَ لنا الخَيْرَ والنَّصرَ ، وأن تَدْفَعَ عنَّا شُرُورَ أعدائِكَ ومفاسِدَهم قبلَ أن نَتلاشَى بفعلِ شَيَاطينِ الإنسِ والجنِّ ، فالامتحانُ عَسيرٌ ، والاخْتِبَارُ جِدُّ فَظِيعٍ ، ونحنُ ضِعافٌ أمامَ جَرَّافاتِ الطُّغيانِ ، والبَطْشِ ، وغُرُورِ القُوَّةِ ، وزَهْوِ السلطانِ .

وأنتَ الرحيمُ فارْحَمْنا .

وأنتَ القَوىُّ فادْفَعْ عنَّا .

وأنتَ القهَّارُ فأذِلَّ عُتَاةَ المُجْرِمينَ.

وأنتَ الوَهَّابُ فهَبْ لنا من لَدُنْك رحمةً وهَيِّئْ لنا من أمورِنا رشدًا ونورًا من نُورِك ، يَكْشِفُ عنا الظُّلماتِ .

•

وأنتَ الرزَّاقُ فارْزقْنا عِلمًا نافِعًا ، وقلبًا ثابتًا على دينِك ، ونفسًا مُطْمَئنةً بك ، يا مَن لا تَتْرُكُ من الْتَجأَ إليك .

يا ربِّ . . يا كريمُ . . أنتَ بأحوالِنا وبِمَا فى نفوسِنا عليمٌ، فارْحَمْنا بفضلِك وإحْسانِك ، يا كريمُ يا حليمُ .

يا ربِّ . . ليسَ لنا سِواكَ فارحَمْنا .

يا ربِّ ، يا وَدُودُ ، يا كريمُ ، يا رَحِيمُ ، يا حليمُ ، يا غفَّارُ ، يا توَّابُ ، يا عَفُوُّ ، يا قديرُ ، يا ساترَ العيوبِ ، يا ذا العرشِ العظيمِ ، يا غافرَ الفضائحِ والذنوبِ لمَن يَتوبُ :

اغفِرْ لعبدِك الضعيفِ النادِمِ ، الباكِى المُتباكِى بصدقٍ، عبدِك التائبِ العاجِزِ عن الوفاءِ بشكرِ نعمتِكَ عليه، الخائفِ من مُلاحقةِ آثامِه ليلَ نهار، كأنَّها وحشٌ يَغتالُ، أو نارٌ ودمارٌ ووَبَالٌ، تُصَدِّعُ فؤادَه باليقظةِ، وتُزعِجُه فى المنامِ.

إنَّ عبدَكَ الفَقِيرَ إلى عَفوِك ورِضاكَ يُريحُه حُسْنُ الظَّنِّ بمولاه، فيَتَعَلَّقُ قلبُه بحبلِ الطَّمَعِ فى عَفوِ الكريمِ الرحمنِ.

وإنك يا عظيمَ الإنعامِ، يا كاملَ الإحسانِ تُحبُّ العفوَ، فثبِّتْ قدَميَّ بينَ صُفوفِ التائِبين المُخْلِصين من عبادِ الواحدِ الديَّانِ، واعفُ عنِّى، وارحَمْنى، واحشُرْنِى تحتَ رايةِ حبيبِك الهادِى النورِ حاملِ لواءِ المحبَّةِ والسلامِ والإحسانِ.

أنتَ يا ربِّ حَسْبى ورَجائِى، ليسَ لى ولا لغيرِى سِواكَ، فمَن يَرْحَمُنى غيرُك؟

أنت الكريمُ فأكْرِمْ عبدَك الذليلَ الواقفَ ببابِك، يَرْجُو رحمتَك، ويَخشى عذابَك، أنتَ الرحمنُ فَقِنِى عذابَ النيرانِ.

أنا أتقلَّبُ فى نعمتِك، فخُذْ بيدى فى طَريقِ

محبَّتِك ، وأطلِقْ قلبِى ولسانِى بتوحيدِك وذِكْرِك وشُكرِك وحَمْدِك على الدوامِ .

اجْعَلِ الإخلاصَ فى فؤادى ، واحْفَظْنى من بينِ يدىَّ ومن خلفِى من هَمَزاتِ الشياطينِ ، ومَكْرِ حَمَّالاتِ الحَطَبِ وحامِلِيه ، أعَاذَنا إحسانُك إلينا يا عظيمَ القُدْرةِ والإحْسانِ من شُرُورِهم ومَكْرِهم وخَبِيثِ تَدْبِيرِهم .

أنا عبدُك الضعيفُ الذليلُ يا كاملَ القدرةِ والرحمةِ .

ليسَ لى سِواكَ، فافْتحْ لى أبوابَ رحمتِك فى الدُّنيا والآخرةِ، ولا تُخْزِنى يومَ العرضِ عليكَ، يا أرحمَ الراحمينَ، واحشرْنى تَحتَ لواءِ حبيبِك الهادى ﷺ.

* * * *

مُقَوِّماتُ بناءِ أُمَّتِنا العَتيدةِ

إنَّ أمَّتَنا بفضل هدايتِها إلى الإسلامِ أمةٌ من شأنِها أن تَكونَ متماسكةً ، مُتَساندةً ، متعاضِدةً ، متعاونةً على دفعِ الضُرِّ والشرِّ والفسادِ ، وعلى جلْبِ الخيرِ وتَحْقيقِ الخيرِ والنَّمَاءِ والرَّخاءِ .

وفى ظلالِ حضارةِ الإسلامِ فى عصورِ ازْدِهارها كان الناسُ يَتراحَمُون ، ويَتَعاطفون ، ويقومُ بناءُ الفَرْدِ على تربيةٍ سليمةٍ ، تربيةٍ نفسيةٍ وروحيةٍ وعقليَّةٍ ، مع حمايتِه من كلِّ أسبابِ الانحرافِ .

ومن خصائصِ أمَّتِنا التراحُمُ ، بحيثُ لا يَبْغى أحدٌ على أحدٍ ، ولا يَتَطاولُ أحدٌ على أحدٍ ، الضعيفُ يساندُه القوىُّ ، والفقيرُ يُعاضِدُه الغنىُّ ، فالإنسانُ لا يَشعرُ بالخِذلانِ بسببِ ضعفِه أو قلَّةِ حيلتِه ، ولا يَجِدُ الفقيرُ نفسَه نُهبةً للضياعِ لقِلَّةِ معرفتِه ، أو لعدمِ إيجادِ الفُرَصِ المُواتيةِ ، كما لا يُتْرَكُ الفردُ نُهبةً للغشَّاشين

والمدلِّسين والمُرْتَشِين ، بل يَجدُ الإنسانُ فى مجتمعِ الإسلامِ الرَّاقى العظيمِ النُّصْرةَ والإعانةَ على الخيرِ ، والكفايةَ والأمنَ على النفسِ والمالِ والعِرْضِ .

وكانت تَقومُ مناهجُ التربيةِ فى المؤسَّساتِ والمساجدِ والمدارسِ على أُسُسٍ سليمةٍ، وقيَم فاضلةٍ ثابتةٍ ، وعلى تربيةٍ عاليةٍ تُطابِقُ فِطرةَ الإنسانِ، وتَدْفَعُ بالإنسانِ فى مَدارجِ الرُّقِىِّ الرُّوحىِّ والعقلىِّ والبَدَنِىِّ، مع تَجْنِيبِه كلَّ أسبابِ الفسادِ والانحطاطِ والتدهورِ، فلا خمرَ ، ولا مُخدِّرَ ، ولا فواحشَ ولا إغراءَ بالانحرافِ عن الصراطِ المستقيمِ، وعن نورِ دينِ اللَّهِ القويم .

إنَّ الإسلامَ دينُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ به تَسْتقيمُ الأمورُ، وتَعيشُ الأُمَّةُ بجميعِ طوائِفِها فى تَعاونٍ ووئامٍ، وسلامٍ وأمانٍ، فقد أكْرَمَ اللَّهُ الإنسانَ وكرَّمَه فهو مَصُونُ الدمِ والعِرْضِ والعقيدةِ والمالِ .

ولا يُعاقَبُ الإنسانُ إلَّا بجريرةٍ اقْتَرَفها، وإنَّ القضاءَ فى هذه الأُمَّةِ العَظيمةِ عادلٌ رحيمٌ أمينٌ، فهى أمَّةُ الأُمَمِ، صاحبةُ السيفِ والقلمِ، رائدةُ العلمِ والازدهارِ.

أقامَتْ أمَّتُنا أعظمَ حضارةٍ وأنْفعَها وأبقاها أثرًا فى حياةِ الإنسانِ، فما زال العالمُ فى شَرقِه وغَربِه يَعْتَرِفُ لحضارتِنا بالريادةِ والسلامةِ، وبالأستاذيةِ فى جميعِ جوانبِ الحياةِ الإنسانيةِ، بفضلِ القرآنِ الكريمِ وسُنَّةِ رسولِنا الأمينِ ﷺ.. فأين نحنُ؟ وإلى أينَ نسيرُ؟

* * * *

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾. [سورة الأنعام]

الحُلْوُ والمُرُّ

إلى أينَ نسيرُ؟ هل سألَ كلُّ واحدٍ من أهلِ العقلِ والحكمةِ نفسَه هذا السؤالَ، وإذا استمرَّ الحالُ، فكيف المصيرُ؟

يا لطيفُ يا خبيرُ: أخْرِجْنا من هذا الحالِ إلى أحسنِ حَالٍ ! ليس لنا سِواك يا ذا الجلالِ والإكرامِ.

نُريدُ الحالَ الذى تَرْضَى به عَنَّا يا حيُّ يا قيُّومُ، يا ناصرَ المستضعفين ، يا مُذِلَّ المتجَبِّرين، يا قاصمَ ظهورِ أعوانِ الشيطانِ المفسدين المخرِّبينَ.

إن فتَنَ عصرِنا هذا أشدُّ عمًى مِمَّا كان عليه أهلُ الباطلِ قبلَ زمانٍ، فالظلامُ يشتدُّ والحَيْرةُ تَسْتَبِدُّ، وصار للباطلِ أعوانٌ وأبواقٌ، ومالٌ ووسائلُ، وجيوشٌ تسانِدُ، وطبولٌ تُدَقُّ، ومدارسُ تُفْسِدُ ولا تُصلحُ، ومراكزُ لعَبَدةِ إبليسَ اللَّعينِ، وأغانٍ فاجِرةٌ ،

وملابسُ تَكْشِفُ العوراتِ ، تُمجِّدُ الفسادَ وتنشرُه.

عبادَك.. عبادَك.. عبادَك.. ليس لهم سواكَ يا أرحمَ الراحمين، يا ربِّ: اشْغَلْ أعداءَ دينِك وأعداءَ عبادِك بأنفسِهم، واجعلْ حِرابَهم فى صُدورِهم، واملأْ قلوبَهم بأسبابِ الحَيْرةِ وسلِّطْ عليهم الخوفَ والرعْبَ ، وابعثْ عليهم طيرًا أبابيلَ تُهْلِكُهم إهلاكًا، وتدمِّرُ قُوى الشرِّ، فقد فاضَ الكَيْلُ من عَمَى البصيرةِ، ومن عدمِ الرُّشْدِ، ومن ضياعِ الحِكمةِ السديدةِ الصحيحةِ.

لقد فاض الكيلُ من زفَّةِ الشيطانِ التى انطَلَقَتْ مُسرعةً عن طريقِ البرِّ والبحرِ والجوِّ إلى بلادِ عبادِك الآمنينَ الفقراءِ المَشْغُولين بأسبابِ الكفايةِ، وبتربيةِ الأولادِ، ورعايةِ المَواشِى.

إن زفَّةَ الشيطانِ أطْبَقَتْ عليهم فدمَّرتْ الجبالَ ودكَّتها دكًّا وأحْرَقَتْ المحاصِيلَ، وجَلَبَتْ أبواقَ الشرِّ

والفسادِ والعُرْيِ والنَّكَدِ، وطَوَتِ الملايين من الأطفالِ والنساءِ والشيوخِ والشبابِ فى باطِنِ الأرضِ بلا هَوَادةٍ، وبلا رحمةٍ، وبلا عقلٍ، وبلا وازعٍ إلَّا الرغبةَ فى التَّشَفِّى، وفى إرضاءِ القلوبِ الحاقدةِ على أمَّةِ العفافِ والفضيلةِ، والأخلاقِ الكريمةِ، الأُمَّةِ الراضيةِ الشاكرةِ.

فلنَنْظُرْ حولَنا ونسألْ أنفسَنا : إلى أينَ نسيرُ ؟ وكيفَ المصيرُ ؟

الدواءُ موجودٌ، والطبُّ بينَ أيدِينا : تعاليمُ الإسلامِ، القرآنُ والسُّنَّةُ، الاقتداءُ بالهادى الرحمةِ ﷺ.

* * * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب]

غلطٌ فى الطَّرْحِ والجَمْعِ والتاريخ

إنَّ طرحَ الأكْرادِ من مجموعِ «أهلِ السُّنَّةِ» فى العراقِ خَطَأٌ فادِحٌ، وجُرمٌ فظيعٌ، ونَكْسةٌ جاهليةٌ عمياءُ، أوْدَتْ بالأكرادِ أن يَأخُذُوا لقبًا يُقابِلُ «سُنَّةَ العراقِ» وهو لقبُ «أكْرادِ العراقِ» وزادَ الجُرْمَ فداحةً جعلُ ذلك فى مُسوَّدةِ دستورِ أُمَّةِ الحضارةِ العربيةِ الإسلاميةِ، أُمَّةِ القرآنِ، أُمَّةِ الجهادِ لإنقاذِ الإنسانِ من الجهلِ والهوانِ، أقامُوا بأَيْدِيهم الجدارَ العازلَ بتوجِيهِ وإرادةِ الصهيونيةِ العالميةِ، والصليبيةِ الأوربيةِ، وقد أكَّدُوا العزمَ بعدَ إذلالِ سبعةِ جيوشٍ وسبعةِ ملوكٍ على يدِ البطلِ العربِى المسلمِ الذى جاهَدَ تحتَ رايةِ القرآنِ، أكَّدُوا العزمَ على شَرْذَمَةِ ذوى الجُذورِ الكُرديةِ بعدَ شَرْذَمَةِ الأُمَّةِ الإسلاميةِ وتَمْزيقِها.

وفى مناهجِهم يُؤكِّدُون عدمَ إتاحةِ فرصٍ أخرَى

لظهورِ صلاحِ الدِّينِ جديدٍ، بجيشٍ مسلمٍ، لا تَفرقةَ فيه بينَ عربيٍّ وكرديٍّ وفارسيٍّ وقُوقازيٍّ، بل وأوربِّي ومن سُبُلِ تحقيقِ أهدافِهم تَمْزِيقُ الأكرادِ وإضعافُ شأنِهم بكلِّ السُّبُلِ والوسائلِ، وإثارةُ روحِ العداوةِ لإخوانِهم في نفوسِهم، كما أثارُوا الفِتَنَ والقلاقِلَ بينَ العربِ وسائر المسلمين، وجعَلوا الأمةَ الواحدةَ أُمَمًا، وجعَلوا الوطنَ الواحدَ أحزابًا وشيعًا.

والأُمَّةُ في غفلةٍ، والنَّظرُ قصيرٌ، ولم نسألْ أنفسَنا: إلى أينَ نسيرُ؟

ثم إنَّ طرحَ «الشِّيعةِ» من مجموعِ عربِ العراقِ ومُسْلِمِيه وإنَّ جَعْلَهُم دينًا قائمًا بذاتِه اسمُه «الشيعةُ» يُقابِلُ «السُّنَّةَ العربَ» ويُقابِلُ «أكرادَ العراقِ» و«تُرْكُمانَ العراقِ».

إنَّ هذا الطَّرْحَ غفلةٌ عظيمةٌ، وبلاءٌ أعمُّ، وهاويةٌ يَتَرَدَّى فيها أصحابُها، يُلْقُونَ أنفسَهم بأَيْدِيهم إلى

مَهاوِى الضَّلالِ والهَلَكةِ.

وإن الناظِرَ إلى انقسامِ الشيعةِ أنفسِهم إلى شِيَعٍ وفِرَقٍ وجماعاتٍ يَنْفَصِلُ بعضُها عن بعضٍ، لرَأَيْنا الغالبيةَ العُظْمَى فى العراقِ هم المسلمين أهل السُّنَّةِ بلا جدالٍ، وإذا أعْطَيْنا كلَّ مجموعةٍ عقائديةٍ وجاهليةٍ عِرقية نِسْبةً فى مقابلِ المجموعِ العامِّ، لقُلْنَا للقائمينَ على الواجهةِ فى العراقِ فى وَقْتِ الاحتلال الأمريكىِّ الأوربىِّ : اتَّقُوا اللَّهَ ربَّكم، واخْشَوا غضبَه وانتقامَه، فقد أحْيَيْتُم العَلْقَمَ والمَرَارةَ فى نفوسِنا من شَناعةِ ما فعَله الوزيرُ محمدُ بنُ العَلْقَمِىِّ الذى أدخَل جَيشَ التتارِ إلى بغدادَ وسلَّمَهم الخليفةَ العباسِىَّ الذى ائْتَمَنَه على المسؤوليةِ ، سلَّمه لقادةِ التتارِ بيدَيْه ليَحْرِقُوه حيًّا فى برميلٍ ، وعاثُوا فى الأرضِ فسادًا يُحَرِّقون ما طالَتْه أيْدِيهم من تُراثِ الأُمَّةِ العَظِيمةِ العلمىِّ والفكرىِّ ، والفنىِّ ، فضاعَ على الإنسانِ تراثٌ رائعٌ عظيمُ القيمةِ

ابْتَلَعَتْه مياهُ النَّهْرين، ولَعِبَتْ به أَلْسِنَةُ النيرانِ على أيدِى جَهَلةٍ حَمْقَى حاقدينَ هم التتارُ قبلَ أن يَدخُلُوا فى الإسلامِ.

والعاقلُ تَكْفِيه التَّذْكِرةُ والإشارةُ : فإلى أينَ المصيرُ؟

* * * *

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة الأنبياء : ٩٢]

«لا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله إخوانًا»

توجيه نبوىٌّ شريف

طريقٌ وطريقٌ

إنَّ الصومَ يُوقِظُ ضميرَ المسلمِ، ويُهَذِّبُه، ويُقوِّى فى نفسِه مَلَكةَ المراقبةِ للَّهِ عزَّ وجلَّ، ومع الانتفاعِ بآدابِ الصومِ ومَرامِيه نَجدُ المسلمَ على حياءٍ دائمٍ من أن يراه اللَّهُ عزَّ وجلَّ حيثُ نَهاه، ويَجعلُه الصومُ على شُعورٍ دائمٍ فى فِطْرِه وصومِه بأنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ عليه، وأنَّه سبحانَه يُحِبُّ أن يرَى عبدَه حيثُ أمَره، طاهرَ النفسِ، نقىَّ السريرةِ، صادِقَ الحديثِ، وفِيًّا بالعهدِ، مُؤدِّيًا الأماناتِ إلى أهلِها، سخيًّا، بارًّا، عطوفًا على الضعيفِ، يَعْفُو ويصفحُ، ولا يُقابِلُ السَّيئةَ بمثلِها، غَيُورًا على دينِه، ومُقَدَّساتِه، وحُرماتِه، مُحبًّا لجيرانِه وإخوانِه، شَهْمًا، عزيزَ النفسِ، غاضًّا بصرَه عمَّا لا يَحِلُّ له، طاهرَ الذيلِ، عالىَ الهمَّةِ، مُبغضًا للفواحشِ والفِتَنِ، مُبتعدًا عن حمَّالى وحمَّالاتِ الحطبِ، مُقبلًا على شانِه، مَشغولًا بما يُصلحُ به نفسَه وبيتَه،

يُحِبُّ الخيرَ لنفسِه وللناسِ أجمعينَ.

إنَّ الصائمَ تَجِدُه يُخلصُ لربِّه فى سرِّه وعلانيتِه، ويؤدِّى الفرائضَ، ويُنافِسُ فى سائرِ النوافلِ والتطوُّعاتِ، تَجِدُ قَلبَه سليمًا، ونفسَه مطمئنةً، ولسانَه شاكرًا، يَشتغلُ بتَدبُّرِ آيِ القرآنِ الكريمِ، وبذكرِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ على كلِّ أحيانِه، مُقتديًا بالحبيبِ المصطفَى ﷺ، فى تواضعِه، وحضورِ قلبِه فى الصلاةِ، وفى عطفِه على المسكينِ وذى الحاجةِ، وفى حبِّ الخيرِ وكراهيةِ الشرِّ والفسادِ، كما أنَّك تجدُ الصائمَ بحقٍّ مُمْسكًا لسانَه إلَّا عن كلمةٍ طيِّبةٍ، وسادًّا سمعَه عن القيلِ والقالِ، وعن تَتبُّعِ أحوالِ الناسِ وعيوبِهم، لا يَأكُلُ إلَّا الحلالَ الطيبَ، يأمُرُ بالمعروفِ والخيرِ، وينهَى نفسَه وغيرَه عن الباطلِ والسُّوءِ، فلسانُه طاهرٌ، وقلبُه طاهرٌ، وعينُه طاهرةٌ، ولُقمتُه طاهرةٌ، وشرابُه طاهرٌ.

إنَّنا إذا قارنَّا أحوالَ المشاهيرِ الذين يُزَيِّنُون الباطلَ ويَنْقُلون كلَّ خبيثٍ وفاسدٍ عن الغَرْبِ، فى عَصْرنا، وتَفَكَّرْنا فى أعمالِهم وبرامجِهم الجُهَنَّميَّةِ لإفسادِ الأخلاقِ، وإعلاءِ الباطلِ، إذا قارنَّا ذلك بما كان عليه ويكونُ عليه المؤمنُ الصالحُ الطاهرُ المُقْتَدى بالحبيبِ المصطفَى ﷺ، فإنَّنا عندَ المقارنةِ والدِّقَّةِ، تَسْقُطُ من نفوسِنا أصنامُ الوَهْمِ، ونَرْبَأُ بأمتِنا وأهْلِينا أن يكونوا على شاكلةِ أباليسِ الإنسِ الذين يَدْفعون أعاصيرَ الخرابِ والدمارِ النَّفسىِّ والأخلاقىِّ والمادِىِّ إلى أوطانِنا دفعًا، يُريدُون إعلاءَ كلمةِ الشيطانِ ويُخْزِيهم اللَّهُ عزَّ وجلَّ . . فهل سألْنا أنفسَنا : إلى أين نسيرُ؟ وكيف المصيرُ؟ ومعنا النورُ الهادِى، والسراجُ المنيرُ القرآنُ العظيمُ، وسُنَّةُ النبىِّ الأمين ﷺ، فهل نَعُودُ إلى النورِ؟

* * * *

أغْلَى ما نَمْلكُ: الدينُ والنفسُ والعقلُ والمالُ والعِرْضُ

إنَّ من ألْزَمِ لوازمِ المسلمِ بعدَ طاعةِ اللَّهِ وعبادتِه أن يَصونَ نفسَه من المُهْلكاتِ ويَحْمى نفسَه من أسبابِها، وهذا أمرٌ يُوجِبُه الدِّينُ، ويَدْعُو إليه العقلُ السليمُ، وإنَّ كلَّ فردٍ مِنَّا مسؤولٌ عن الحفاظِ على خمسةِ أصولٍ، أمينٌ عليها، وهى:

دينُك، ونفسُك التى بينَ جَنْبَيْك، ونَسْلُك أولادُك، وعقلُك، ومالُك، وعِرْضُك، وهذه الأصولُ الخمسةُ هى الأُسُسُ للبناءِ والعمارةِ، ومواجهةِ حياتِنا اليوميةِ بشجاعةٍ، وهمَّةٍ، وبصيرةٍ:

(١) وإنَّ أغلَى وأثْمَنَ شىءٍ فى حياةِ الإنسانِ هو دِينُه، الذى يَصِلُه بخالقِه، وبه يَطْهُرُ القلبُ، وتَزْكُو النفسُ، وتكونُ أهلًا للنُّصْرةِ والتَّأْييدِ فى الدنيا، وللفوزِ برحمةِ اللَّهِ فى الآخرةِ، فالعاقِلُ يَعملُ بما جاء به الدينُ من عندِ اللَّهِ، ويُجاهِدُ فى سبيلِه، ويَبذُلُ

الرُّوحَ وكلَّ نفيسٍ فى سبيلِه إذا اقْتَضَى الأمرُ ، وأطلَّتْ قرونُ الشُّرورِ والمفاسدِ والحروبِ الحاقدةِ.

(٢) وإنَّ صيانةَ العقلِ والحفاظَ عليه لَمِن أوْجَبِ الواجباتِ على كلِّ فردٍ، لذا فإنَّ الإسلامَ حرَّم المُسكراتِ بجميعِ صنوفِها، وحرَّم المُخَدِّراتِ، حرَّم كلَّ ما يَجعلُ العقلَ يَفْقِدُ صَحْوتَه وإدراكَه، أو يَجعلُ العقلَ عُرضةً للاختلالِ والضَّعْفِ، فإنَّ عقلَ الإنسانِ الذى هذَّبه الدينُ هو نُورُه ومصباحُه ودليلُه فى مسيرةِ حياتِه، أو فى علاقاتِه بالآخَرين، وبه يكونُ تَكْرِيمُه، فكيفَ يرضَى عاقلٌ لنفسِه أن يَضَعَ نفسَه بيَدَيْه فى مواردِ الهَلَكَةِ والخَبَلِ والذُّهولِ؟

(٣) أمَّا المالُ الحلالُ الطيِّبُ فهو دعامةُ المعيشةِ، وبه تَتَحَقَّقُ الكفايةُ للفردِ والأسرةِ، فيُساعِدُ على طمأنينةِ النُّفوسِ، وعلى سَعْيها لتحقيقِ حياةٍ أفضلَ دومًا، ومنه يواسِى المؤمِنُ أهلَه وذَوِى الحاجةِ،

ويُحَقِّقُ طموحَه فى مجالاتِ الكسبِ الحلالِ الطيِّبِ.

لذا وجَب علينا أن نَضَعَ المالَ فى موضعِه الصحيحِ، فلا نُهدِرُه بالإسرافِ أو الإنفاقِ على الشهواتِ التى حرَّمها اللَّهُ عزَّ وجلَّ، وقد أمَرنا اللَّهُ عزَّ وجلَّ بصيانةِ الوَجْهِ عن ذلِّ السؤالِ، وأمَرَنا بالإنفاقِ من المالِ فى المصالحِ الصحيحةِ بلا إسرافٍ ولا تَقْتيرٍ.

(٤) إنَّنا مَأْمُورونَ برعايةِ أولادِنا وتَرْبِيَتِهم تربيةً صحيحةً وسليمةً، عقليًّا، ونفسيًّا، وبدنيًّا وروحيًّا، وبتوفيرِ أسبابِ الحياةِ الكريمةِ لهم على قدرِ طاقةِ كلِّ فردٍ وجهدِه، وإنَّ المُسْرفينَ والمُتَهالِكينَ على الخمورِ والمُخَدِّراتِ ونحوِها يُضيِّعون أنفسَهم، ويُضيِّعون أولادَهم، ويَجعَلُونهم عرضةً للمَذَلَّةِ والهَوَانِ، وهذا من أعظمِ الآثامِ، كما جاء فى الحديثِ الذى رواه ابنُ عمرٍو، وأخرَجه النسائىُّ وغيرُه وفيه: «وكفَى بالمرءِ إثْمًا أن يُضيِّعَ من يَقُوتُ».

(٥) وإنَّ عِرْضَك هو شَرَفُك وكرامتُك تردُّ عنه وتصونُه ، وإذا اقتضى الأمرُ تُدافِعُ عنه ، كما تهبُّ للذَّوْدِ عن وطنِك ودينِك ومُقَدَّساتِك ، وعن نفسِك ومالِك ، وإنَّ الأسرةَ ، وإن الأُمَّةَ بخيرٍ مادامت حريصةً على صيانةِ الأعراضِ والشرفِ ، وعدمِ التفريطِ فى مُقَوِّماتِ حياتِها .

* * * *

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ .

[سورة البقرة]

بارٌّ بوالدته :

أحبَّه كلُّ من سمِع اسمَه

إنَّه الصحابىُّ العالِمُ الجليلُ أبو هريرةَ ﷺ: نَشَأ يتيمًا فى قبيلتِه دَوْسٍ - بفتحِ أولِه وسكونِ ثانيه - ثم هاجَر مسكينًا، واشتغَل أجيرًا بالمدينةِ بعدَ الهجرةِ، وأقبَل على ملازمةِ الرسولِ ﷺ يَحْفَظُ عنه ويُبلِّغُ حتى صارَ أعلمَ الصحابةِ بالحديثِ الشريفِ ، فقد نقَل أصحابُ كتبِ السنةِ والحديثِ عنه ﷺ نحوَ (٥٣٧٤) حديثًا، ويَلِيه فى ذلك فَقِيه الأُمَّةِ وحبرُها عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ رضِى اللَّهُ عنهما، وقد روَى أقلَّ من ثُلُثِ ما رواه أبو هريرةَ وهو (١٦٦٠) حديثًا، وقال عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ رضى اللَّه عنهما : « أبو هريرةَ خيرٌ مِنِّى وأعْلَمُ ».

أبو هريرةَ من قبيلةِ دَوْسٍ كانت تَعيشُ فى منطقةِ (تِباله) على مسافةٍ من مكةٍ من جهةِ الطائفِ، آمَن ودخَل فى الإسلامِ على يَدِ شيخِ قبيلتِه (الطُّفَيْلِ بنِ

عمرٍو الدَّوْسِىّ) ولم يَرَ أبو هريرةَ رسولَ اللَّهِ ﷺ إلَّا بعدَ أن هاجَر مع ثمانينَ أسْرَةٍ من قبيلتِه إلى المدينةِ المُنَوَّرةِ عامَ غزوةِ (خيبرَ)، وكم كانت فرحةُ قلبِه حينَ رأى رسولَ اللَّهِ لأولِ مَرَّةٍ فى المدينةِ.

قال عنه الأميرُ الصنعانِىُّ فى كتابِه «سُبلِ السلامِ»: كان أبو هريرةَ رَقيقَ القلبِ، ألوفًا، مُؤلَّفًا، عَطوفًا، وكان ذاتَ يومٍ يَلعبُ بقطةٍ صغيرةٍ (هِرَّةٍ) ويُلاطِفُها برِقَّةٍ وعطفٍ، فرآه النبىُّ ﷺ فسمَّاه باسمٍ لطيفٍ هو «أبو هريرةَ»، وصارَت تلك كُنيتُه التى التَصَقَتْ به؛ وبفضلِ دعاءِ الرسولِ له أحبَّه كلُّ مَن سمِع باسمِه، وبفضلِ دعائِه ﷺ لأمِّ أبى هريرةَ نَطَقت بالشهادتين وحسُنَ إسلامُها، ففرِح أبو هريرةَ فرحًا شديدًا، لأنَّه كان شديدَ الحبِّ لها، عظيمَ الإخلاصِ فى خدمتِها.

حمَلها معه فى هجرتِه، وهى على الشِّرْكِ، تأبَى أن

تُسْلِمَ على الرَّغمِ من إلحاحِ ولدِها عليها وخوفِه عليها حتى نالَتْها بركةُ دعاءِ الحبيبِ المصطفى ﷺ، وزادَهما شرفًا الدعاءُ الذى رواه مسلمٌ فى «صحيحِه» وعندَ البخاريِّ مثله : «اللَّهُمَّ حَبِّبْ عبدَك هذَا وأمَّه إلى عبادِك المؤمنين، وحبِّبْ إليهم المُؤمنينَ» ، فكان أبو هريرةَ يقولُ كما عندَ البخاريِّ: «ما سمِع بى أحدٌ يَهوديٌّ ولا نصرانيٌّ إلَّا أحبَّنِى» .

فنحن يجب أن نجتهد مثل أبى هريرة : نحبُّ اللَّهَ ، ونحبُّ رسُولَ اللَّه ، ونحبُّ كلامَ اللَّه ، وسنة رسول اللَّه ، ونخدم أمهاتنا وآباءَنا ، وندعو لها وله فى الحياة وبعد الممات ، إذا أخلصنا مثل أبى هريرة أحبَّنا اللَّه بفضله وأحبَّنا رسولُ اللَّه ، وما أعظم ذلك ! وانظر ماذا كان يفعل أيضًا :

عاشَ خادمًا أمينًا مُخْلصًا لأمِّه قبلَ إسلامِها وبعدَ إسلامِها ؛ يُقدِّمُ لها الطعامَ، ويَكنُسُ لها الدارَ، ويَضَعُ

لها فراشَها لتَسْتَريحَ أو تَنامَ، ويَدعُو لها بكلِّ خيرٍ، وكان يقولُ لها: «**رحِمكِ اللَّهُ يا أُمَّاه كما ربَّيْتِينِى صغيرًا**» . فتقولُ له: «**وأنتَ رحِمك اللَّهُ كما بَرَرْتَنِى كبيرًا**» وكان يقولُ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأبى هريرةَ ولأمِّ أبى هريرةَ ولمَن استغفر لَهُما**»، أى لِمَن طلَب لهما المغفرةَ، فكانَ محمدُ بنُ سيرينَ وغيرُه من أفاضلِ الناسِ يَقولون: «**فنحنُ نَستغفرُ لهما حتى نَدخُلَ فى دعوةِ أبى هريرةَ**» أى تنالُهم بركةُ دعائِه، وكان اسمُه فى الإسلامِ (عبدَ الرحمنِ) واختَلَفُوا كثيرًا فى اسمِه قبلَ الإسلامِ.

ونحنُ مع قُرَّاءِ هذا المقالِ نقولُ جميعًا: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لنا، واغْفِرْ لأبى هريرةَ ولأمِّ أبى هريرةَ وارْضَ عنهما وعن أهلِ الإيمانِ الصادِقِ والتوحيدِ الخالصِ.. آمين.. آمين.

* * * *

الواهِمونَ والرَّاقِمون فى الماءِ

ونَبْدَأُ كَلِمَتَنا معهم بقولِ الخليفةِ العباسىِّ الوَقُور، العظيمِ القَدْرِ فى ميزانِ السياسةِ الدوليةِ، قال وهو يرَى سحابةً تمُرُّ: «**أيَّتُها السحابةُ أَمْطِرى حيثُ شِئْتِ فسَيَأْتِينِى خراجُك**»، والخراجُ معروفٌ وهو أشْبَهُ بالضرائبِ التى يُقدِّمُها الأفرادُ للدولةِ ليُعادَ إنفاقُها بطريقةٍ منظمةٍ على مصالِحِهم العامَّةِ وما يَتَّصِلُ بالبِنْيَةِ الاجتماعيةِ، والبِنْيةِ الأساسيةِ، والمَرافقِ التَّنْمويةِ.

الواهِمُون فى وقتِنا الحاضِرِ يَتَصَوَّرونَ أن بإمكانِهم مَحْوَ جُذُورِ التاريخِ العظيمِ لبَغدادَ والبصرةِ والكوفةِ وغيرِها بنَزْعةِ تَعصُّبٍ أعمَى، أو بلهفةٍ على تحقيقِ أهدافٍ دنيويَّةٍ، وطموحاتٍ ذاتيةٍ.

ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللَّهِ، فإلَى أينَ نَسيرُ؟ وكيفَ المصيرُ؟

بغدادُ يا بغدادُ، إن تاريخَ الحضارةِ الإنسانيَّةِ يعلمُ

تَمامًا أنَّكِ يا بَغدادُ عروسُ الحضارةِ، وأنَّك فى تاريخ العلمِ والفَنِّ والأدبِ أعظمُ وأبْهَى نَضَارةً، أولادُكَ وتلامذتُك قائِمُون بعدَ أن قامَت لهم قائمةٌ فى عالَمِ التَّمَدُّنِ والثقافةِ، يَشْهدونَ بلسانٍ فصيحٍ على لسانِ: أسبانيا ورُوما، ولندن، وباريسَ، أَنتِ يا بَغدادُ كدِمشقَ الأستاذُ ونحنُ التلامذةُ، أنت الحضارةُ، ونحنُ المُرْتَشِفُونَ، أنت الأُمُّ ونحنُ الأولادُ، ولن تكونَ الشيخوخةُ العارضةُ سببًا فى الإزهاقِ بدَعْوى المَوْتِ الرحيمِ ، وعلى يدِ الأبناءِ؟ فهل نقولُ إنَّهم البَرَرةُ؟ لا أدرى . وماذا يكتبُ القلمُ عن دعاوى: عَربٌ وأكرادٌ، وسُنةٌ وأكرادٌ، وسُنةٌ وشيعةٌ، وتركمانٌ ، وغيرُ تركمانَ؟ ألم يَنْصهرْ هؤلاء وغيرُهم فى جواهرِ اللِّسانِ العربىِّ والحضارةِ الساميةِ الحانيةِ ذاتِ الفضلِ على جميعِ الناسِ من كلِّ الألوانِ والأديانِ؟ حضارةِ القرآنِ، حضارةِ العلمِ والإيمانِ.

أيُّها الرَّاقِمون على الماءِ . . ! أيُّها الكاتِبون على

صفحاتِ الهواءِ ! أيُّها البانُون بينَ الأرضِ والسماءِ ! خانتْكُم انصهاراتُكم فى بَوْتَقَةِ الخديعةِ الصهيونيةِ، والإِسْفينِ - بكسرِ الهمزةِ - الأُورُبِّيِّ الأمريكيِّ !! الماكرِ الخبيثِ، وجرَى كلٌّ منكم نحوَ قطعةٍ من كَتِفِ العراقِ !! وليسَ للباطلِ دوامٌ ، ولا للأغْراضِ الخاصَّةِ ، ولا للعَصَبيَّةِ الجاهليةِ ، ولا للعصبيةِ المذهبيةِ التى تَسْعَى إلى التدميرِ ولا تَسْعَى إلى البناءِ ، والحِفَاظِ على مُقَوِّماتِ الأُمَّةِ العريقةِ ، ليس لكلٍّ ذلك دوامٌ .

إنْ كنتُم أيُّها الوُجَهاءُ على المنصَّاتِ العاليةِ لم تَعُوا دُروسَ التاريخِ ، فاعْلَمُوا أنَّ الأمةَ التى تَنْسَى تاريخَها ، وتَضَعُ بأَيْدِيها النَّارَ بينَ الجِذعِ والجُذُورِ فهى أمةٌ تَتَلاشَى وتَضَعُ نهايتَها بأيْدِيها كالنباتِ الغريبِ فى التُّربةِ ، لا يَلْبَثُ أن يَموتَ ويَتلاشَى .

فإلى أين نسيرُ ؟ وكيف المصيرُ ؟ يا بُناةَ القصورِ فى الهواءِ بينَ الأرضِ والسماءِ ؟

* * * *

يا أرحم الراحمين

الحمدُ للَّهِ الرحيمِ بعبادِه، يُجيبُ دعاءَ المضطَّرينَ، ويَعفو بفضلِه عن العُصاةِ التائِبين النادمينَ، وقد جعَل سبحانَه للخيرِ أسبابًا وللرحمةِ أبوابًا، وإنَّ من أعظمِ الأسبابِ لدَفْع الشَّرِّ والضُرِّ، ولجَلْبِ الخيرِ والنَّفعِ، ولتَفْريجِ الكَرْبِ والهمِّ، أن نَرفع إلى اللَّهِ أكُفَّ الضراعةِ مُتوسِّلين إليه بأسمائِه الحُسْنَى وصفاتِه العُلْيَا، أن يُجيبَ الدعاءَ، وأن يَرفَعَ البلاءَ، ويَرحمَنا من الغَلاءِ، وأن يُزيلَ عن أمَّتِنا العظيمةِ كلَّ أسبابِ الشقاءِ والعناءِ، نَدْعُو ونحنُ على طَمَعٍ وحُسنِ ظنٍّ ورجاءٍ، ونُلِحُّ فى الدعاءِ حتى نشعُرَ بحلاوةِ المعايشةِ مع رحمةِ ربِّ الأرضِ والسماءِ، ومع الإخلاصِ والإلحاحِ تَنْكَشِفُ بفضلِه الغيومُ، وتَزولُ الهُمومُ، وتَذهبُ الضرَّاءُ، ويَتَحَقَّقُ لنا الخيرُ والرَّخاءُ بفضلِ الخشوعِ والطمعِ وقوةِ الرجاءِ.

واقْرَأْ ما نقَله الحاكمُ عن أبى أُمامةَ رضي الله عنه : أنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قال : « إنَّ للّهِ مَلَكًا مُوكَّلًا بمَن يقولُ : يا أرحمَ الراحمينَ ، يا أرحمَ الراحمين ، يا أرحمَ الراحمين ، قال المَلَكُ : إنَّ أرْحَمَ الراحمينَ قد أقْبَل عليكَ ، فسلْ » ، أى اطْلبْ ما تَرْجُوه من ربِّك بعدَ هذا التوسُّلِ تَجدُ ما يَنْفعُك على مُقْتَضَى الحكمةِ والإرادةِ الإلهيةِ ، إمَّا أن يُحقِّقَ لك ربُّك ما تَرْجُوه من دعائِك ، وإمَّا أن يُعطيَك خيرًا منه كدَفْعِ مضرَّةٍ لم تَكُنْ على بالِ الداعِى ، أو ادِّخارِ ثوابٍ عظيمٍ ينفعُك يومَ الدِّينِ .

ونلتفتُ إلى حديثِ عائشةَ رضى اللّه عنها مرفوعًا عندَ ابنِ أبى الدُّنيا وموقوفًا على أنسِ بنِ مالكٍ ، وفيه : « إذا قال العبدُ : يا ربِّ ، يا ربِّ ، يا ربِّ ، فإنَّ اللّهَ عزَّ وجلَّ يقولُ : لبَّيْكَ عبدى ، سلْ تُعْطَ » .

وإذا لزِم المؤمنَ ديونٌ وهمومٌ، وفزع إلى اللّهِ بقلبٍ حاضرٍ قائلًا: «اللَّهُمَّ إنِّى أعوذُ بكَ من غلبةِ الدَّيْنِ وقهرِ الرِّجالِ». قال أبو ثمامةَ راوى هذا الدُّعاءِ: «ففَعلتُ ذلك، فأذْهَبَ اللَّهُ عنِّى همِّى، وغمِّى، وقضَى عنِّى دينِى». [ورواه أبو سعيدٍ وأخرَجه أبو داودَ].

ومن أنفعِ الدعاءِ لتيسيرِ قضاءِ الديونِ أن نُلِحَّ على اللّهِ عزَّ وجلَّ بقولِنا: «اللَّهُمَّ اكْفِنِى بحلالِك عن حرامِك، وأغْنِنِى بفضلِك عمَّن سواكَ».
[حديث حسن أخرجه الترمذى ورواه على بن أبى طالب].

واحفظْ هذا الدعاءَ أيُّها التاجرُ وأيُّها المزارعُ، وأيُّها المكروبُ بسببِ تراكمِ الديونِ وخُذْ بالأسبابِ الصحيحةِ، وتُبْ عن الديونِ، وعلى قَدْرِ لحافِك مُدَّ رِجْلَيْك، فأخوالُك يا فلاحُ فى الريفِ غنيَّةٌ عن التعريفِ بسببِ مدِّ يدِك للبنوكِ وغيرِ البنوكِ.

احفظْ ما يلِي : « **اللَّهُمَّ فارجَ الهمِّ ، كاشِفَ الغمِّ ، مُجيبَ دعوةِ المضطرِّين رحمنَ الدنيا والآخرةِ ورحيمَهما ، أنت تَرْحَمُنى ، فارْحَمْنى رحمةً تُغْنِينى بها عن رحمةِ مَن سِواك** » .

[رواه أبو بكر، وكان عيسى عليه السلام يدعو به]

والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ النبيِّين والمرسلين وعلى إخوانِه الأنبياءِ وأصحابِه وأتباعِه الأوفياءِ.

* * * *

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ . [سورة البقرة]

الحاكم والحكماء

وأقصدُ بالحكماءِ هنا هؤلاء الذين يَكونون أقربَ إلى الحاكمِ ، يَسْتشيرُهم ، ويَستعينُ بآرائِهم ، بل وإنَّهم يُبادِرُون في كثير من الأحوال ، إلى إبداءِ الرأى إذا حَزَب الأمْرُ والتبسَ على الحاكمِ ما هو أنفع ، وقد نُسَمِّيهم البِطانةَ ، أو المُسْتشارين ، ومن المطلوب فى هؤلاءِ الحكماء أنَّهم يَتَجرّدون : عن الهوَى الشخصىِّ ، ولا يَنتظرون منفعةً ذاتيةً ، ويَخلعون رداءَ الخوفِ والتردُّدِ ، ويَرمُون بعباءةِ النِّفاقِ فى وقُودِ النَّارِ ، ويَلْتَحمُون التحامًا تامًّا بالصالحِ العامِّ ، وبالخيرِ الذى هو أنفعُ للإمامِ ، لا يُطْرونَه ، ولا يُمجِّدُونَه ، وكأنَّهم يَعْبدُونه من دونِ اللّهِ بالطاعةِ العمياءِ ، وبالنُّزولِ عندَ وجهةِ نظرِه فى كلِّ حال ، ولو أحرَق القلوبَ ، وخرَّب البيوتَ .

إنَّ أَضْعَفَ الناسِ ذكاءً هو مَن يَدَّعى أن حاكمًا يَعلمُ كلَّ شيءٍ ، ولا يُخطِئُ فى شىءٍ، ولا تجوزُ معارضتُه فى شيءٍ، مع الانسياقِ معه فى كلِّ شىءٍ .

وعلى سبيل المثالِ لو كان حولَ (هتلرَ) حُكماءُ ذوُو نَزْعةٍ إنسانيَّةٍ فطريَّةٍ، ولهم قلوبٌ سليمةٌ من الغشِّ والطمعِ، وخالية من الرِّياءِ والقَسْوةِ لَمَا دمَّر هتلرُ النَّازىُّ ، وقتَل ، ولما نشر الفسادَ بطريقةٍ مباشرةٍ وغيرِ مباشرةٍ فى كثيرٍ من الأوطانِ.

ولو وجد (بوش) الأمريكىُّ حولَه عُقلاءَ حقًّا ، فيهم نقاءٌ ، وطهارةٌ ، وبراءةٌ لَمَا خرَجَتِ المدمِّراتُ والكاسِحَاتُ والمُهلكاتُ ووسائل نشر الفساد من أراضِيهم لتَقْلِبَ حياةَ الناسِ جحيمًا ، وتملأَ أجواءَ بلادِ اللّهِ بالرُّعبِ ، ولتنشُرَ الخرابَ وفسادَ الأخلاقِ ، وتُحاولَ إخراجَ الناسِ عن دينِهم الحقِّ ، وإن ما فعَله (بوش) الأمريكىُّ أعظمُ قساة القلوب فى القرن الحادى

والعشرين من الميلاد لهو أبْشعُ وأفظعُ ممَّا فعَله قادةُ المَغُولُ (جنكيز خان) وأولادُه وأحفادُه ، وإن التاريخ لا ينسى ما فعَلوه من بشاعةٍ وما صنَعوه من فظاعةٍ لأنهم كانوا للعلْم أعداء ، وكانوا للجهل أصدقاء أوفياء ، يكرهون الخيرَ والحقَّ ويصدُّون عنه ، ويُحِبُّون مناظرَ الدماءِ والدَّمار ، ممَّا يَطولُ شرحُه.

وأذكرُ هنا موقفًا لحكيمٍ فى بطانةِ (بوش القديم وهو جنكيز خان) حينَ وصَلوا بجيوشِهم العمياءِ ، عن الحقِّ والخيرِ إلى أراضِى الصينِ، ودمَّر الجيش، وخرَّب، وقتَل، حتى ألقَى الصِّينِيُّونَ السلاحَ، ثم قال جنكيز خان فى زَهْوٍ وغرورٍ: اجْمَعُوا لى شبابَ الصِّينِ فى ساحةٍ كبيرةٍ مُكَبَّلِينَ، فجمَعوهم بالطَّاعةِ العمياءِ، وأجْلَسُوهم حِلقًا حِلقًا.

ثم قال جنكيز خان صديق الخراب ، وحبيب إزهاق الأرواح : مُرُّوا على رقابِهم بالسُّيوفِ ولا

تَتْرُكُوا إنسانًا يَصلُحُ للقتالِ فى هذه البلادِ . . وكادَت تقعُ كارثةٌ عظيمةٌ ، لولا حكيمٌ مِن بِطانَتِه قال له : إنَّكَ أيُّها القائدُ الكبيرُ دخَلْتَ هذه البلادَ من أجلِ ألفِ ألفِ (مليون) كيلةٍ من الأُرْزِ ، هى ثمرةُ الزراعةِ فى هذه البلادِ، قال جنكيز خان : نعم . فقال الحكيمُ : إنَّ هؤلاء الشبابَ هم الزُّراعُ لهذا الأُرْزِ ، فإذا قتَلْتَهم فلن تَجِدَ شيئًا ، فهزَّ المغرورُ رأسَه ، وأمَر بإخلاءِ سبيلِهم ، طمعًا فى ثروة البلاد وإفقارِ العباد، فويلٌ للطغاةِ . . يا وَيْلَهم من اللَّهِ .

إن بوش وبطانتَه مِن عبدة الشيطانِ ، دمَّروا مدن الحضارة العظيمة وأفْنَوْا مئات الألوف من المهرة وذوى الخبرة والعلماء والزُّراع والصُّنَّاع ، وحرموا البلادَ من ثمرات جهود هؤلاء وغيرهم مِن ذَوِى المهاراتِ العاليةِ والخبراتِ النَّافِعة ، وأكثروا القتلَ

والإفناءَ ، كما أكثَروا مِن ذَوِى العاهاتِ بفعلِ النَّار وأدواتِ الدَّمار ، وكم من المرضى النفسيِّين ، والمتوتِّرين حَرَمُوا العراقَ وأفغانستانَ كما حَرَمَتِ الصهيونيةُ بقيادة أمريكيَّة وتَحْرِم فلسطين من صفوة أبنائها بالقتل المستمِرِّ ، والدَّمار والخراب المتوالى . إنه تاريخ مُرْعب ، ومخيف أنَ يكون هناك بشرٌ مثل هؤلاء ، ليس لنا سواك يا ربِّ.

أمَّا فرعونُ موسَى فقد اتَّخذ قرارًا بقتْلِ جميعِ الذُّكورِ من بنى إسرائيلَ مع الإبقاءِ على النِّساء يَعْمَلْن خادماتٍ فى بيوتِ المِصْرِيِّين، وذلك لرُؤْيا رآها : وهى أن ذَكَرًا من بنِى إسرائيلَ سيقتله ، وتَحَفَّز جُندُه لجَمْعِ الذُّكورِ، فبادَر حكيمُ البطانةِ الفرعونيَّةِ : فقال : اعْلَمْ أيُّها المَلِكُ : أنَّ بنِى إسرائيلَ هم العِمالةُ فى بلادِنا ، يَنْزحون الكُنُفَ ، ويحملونَ موادَّ البناءِ ،

وَيَجْمعونَ الحَطَبَ للوَقُودِ ، ويَقُومون بسائرِ الأشغالِ الشاقَّةِ التى لا يُمارسُها المِصْريُّونَ ، فإنْ أنتَ قَتَلْتَ الذُّكورَ من بنى إسرائيلَ فى مَذْبحةٍ عامَّةٍ عَرْقلتَ أمورَ المِصْريِّين . فقال فرعونُ : وماذا نَصنعُ ؟ قال له الحكيمُ : نَتْرُكُ الذكورَ الكبارَ يَنْقرِضُون على مدَى السنين ، ونَبْدَأُ بقتلِ كلِّ مولودٍ ذكرٍ من الآنَ ، وأشار بذلك حتى يتيسَّر لهم تدريبُ عمالةٍ مصريَّةٍ مع مرور السِّنين ، ولا تتوقَّف عجلةُ الحياة دفعة واحدة .

فتَوَقَّفَتِ المذبحةُ العامَّةُ، وسقَط من حسابِ هذه البطانةِ المنافقةِ القاسِيَةِ حُرمةُ دماءِ الأطفالِ إرضاءً لمزاجِ الطاغيةِ فرعونَ، وأراد اللَّهُ عزَّ وجلَّ، أن تكُون نهايةُ فرعون الطَّاغية على يد طفل من بنى إسرائيل عصمه اللّه من عصابة فرعون، فنما، وكان سببًا فى هلاك فرعون .

وصلواتُ اللَّهِ وسلامُه على موسى بن عمران .

فماذا نقولُ : عن غُرُورِ القُوَّةِ ، وغرورِ السُّلطةِ ، وغرورِ المالِ ؟ ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللَّهِ .

* * * *

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾ [القصص: ٤ - ٨]

ذاكرُ اللَّهِ فى الغافلين حيٌّ بينَ أمواتٍ

نعم .. إنَّ تَيقُّظَ قلبِ المؤمنِ، وتَذكُّرَه لعظمةِ خالقِه ومراقبتِه، وإنَّ اشتغالَ لسانِه بكلمةِ التوحيدِ، وبالحمدِ، والتكبيرِ، والتسبيحِ يَجعلُ القلبَ حيًّا، ويُنعشُ النفوسَ بالخيرِ، وإنَّ ذكرَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، وحضورَ عظمتِه ومُراقبتَه فى القلبِ لمِن أعظمِ أسبابِ تربيةِ الضميرِ وتهذيبِه، فتَسْتَقِيمُ تبعًا لذلك الجوارحُ بفضلِ اللَّهِ، ويَحسُنُ حالُ المؤمنِ بالاستقامةِ على طريقِ الحقِّ والخيرِ، ويأمنُ الناسُ شرورَه.

وفى حديثِ أبى موسَى ﷺ عندَ البخارىِّ : « **مَثَلُ الذى يَذكُرُ ربَّه والذى لا يَذكُرُه مَثَلُ الحَىِّ والميِّتِ** ». ذلكَ أنَّ الموتَ الحقيقىَّ هو موتُ الضميرِ وقساوةُ القلبِ الغافلِ عن تعظيمِ اللَّهِ ومراقبتِه، وإنَّ ما يجرِى حولَنا من تدميرٍ وتخريبٍ وإهانةٍ للإنسانِ وإذلالِه ونهبِ ثرواتِه مع محاولةِ فتنتِه عن دينِه.. إنَّ هذا كلَّه

سَببُه غفلةُ قلوبِ حُكّامِ دُولِ المدنيَّةِ الأوربيةِ والأمريكيَّة والقائمينَ على شئونِ سياستِها عن عظمةِ اللَّهِ وقُدرتِه، فقَسَتْ لذلك القلوبُ وصارَت أقسَى من الحجارةِ ، وصِرْنا نرَى شياطينَ تتحرَّكُ من حولِنا فى فلسطينَ، وفى بلادِ الأفغانِ، وفى العراقِ، وفى غيرِ ذلك، يَرتَكِبُون كلَّ قبيحةٍ ورذيلةٍ ولا حياءَ ولا وقارَ، ويَسوقونَ الإنسانَ الذى كرَّمه اللَّهُ فى سلاسِلَ وقيودٍ مُغْمضَ العَيْنَيْن سَوْقَ الثيرانِ والأبقارِ، وهو أعْزلُ لا حولَ له ولا قُوَّةَ، يَسوقونَه بقسوةٍ وغلظةٍ وفظاظةٍ، يُحَرِّقُونَ، ويُدمِّرون ، ويَسْجُنونَ، ويُعرُّونَ الأجسادَ، لماذا ؟ لأنَّ قلوبَهم مع الشيطانِ يَعْبدونَه بالشرِّ والفسادِ، وكيف يُهانُ الإنسانُ مهما كانت الدعاوَى ، ويدَّعون يقولونَ : إنَّهم أهلُ القوانينِ والدساتيرِ والنُّظُمِ المدنيةِ ، فأين هذا القانونُ الوَحْشِيُّ ، وأين القضاءُ ، وماذا يَفعلُ بضعُ عشراتٍ من العُزَّلِ المحصورين فى سجون كئيبة، مع الأغلال

والجوع والتَّعذيب ، وماذا يمكن أن يفعل هؤلاء الذين ليسَ بيدِهم شيءٌ ، إذا تَمَّ تكريمُهم فى مساكنَ لائقةٍ وخدمةٍ إنسانيةٍ ، وكانت لهم الحريَّةُ فى العبادةِ والرياضةِ حتى يفصلَ قضاءٌ عادلٌ فى أمورِهم ، هل القَسْوةُ والتَّعذيبُ والإيلامُ والإهاناتُ وتَعْرِيةُ الأجسادِ ، هل هذه بطولةٌ وانتصاراتٌ حربيةٌ عالميَّةٌ تُحسَبُ لأصحابِها ؟ إنها العقولُ التى دَنَّسها الشيطان والقلوبُ التى أظلمت بالطغيان.

ونعودُ إلى ما بَدَأنا به:

إن ربَّنا عزَّ وجلَّ يقولُ: « **أنا مع عبدِى إذا ذكَرنى** » فهل لَدَينا- نحن أمةَ الخيرِ والعدْلِ والإحسان- مَغْنمٌ هو أعظمُ وأبْهَى وأعلَى من هذا المغنمِ؟ تَقْرأُ أيُّها المؤمنُ القرآنَ وتتدبَّرُ وتخشع، وتحضرُ مجالسَ العلمِ النَّافعةَ، وتُسَبِّحُ اللَّهَ وتحمدُه وتُهَلِّلُ، وتستغفرُ وتُكَبِّرُ، فتفوزُ بهذا الرِّضوانِ، وترقُّ القلوبُ لبنِى الإنسانِ تَرِقُّ

للعدوّ منهم وللصَّديقِ على السواءِ ، وفى سورةِ إبراهيمَ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾.

وإن أحبَّ الأعمالِ إلى اللَّهِ أن يَموتَ العبدُ المؤمنُ ولسانُه رَطْبٌ بذْكرِ اللَّهِ - كما فى حديثِ معاذٍ رضي الله عنه عندَ ابنِ حِبَّانَ : « **وإنَّ أهلَ الجنَّةِ لا يَتحسَّرون على شىءٍ فاتَهم من الدُّنيا، ولكنَّهم يَتَحَسَّرون على ساعةٍ مرَّت بهم فى حياتِهم لم يَذكُرُوا اللَّهَ فيها** » وأخرجه الطبرانىُّ وغيره -.

وكان هادِينا ﷺ يذكُرُ اللَّهَ على كلِّ أحيانِه وأحوالِه لا يَغفُلُ قلبُه أبدًا عن تعظيمِ اللَّهِ ومراقبتِه، ومِن وصايَاه العظيمةِ قولُه: « **جَدِّدوا إيمانَكم، فقالوا: كيفَ نُجدِّدُ إيمانَنا يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: أكْثِرُوا من قولِ: لآ إلٰهَ إلَّا اللَّهُ** » .

فسبحانَ اللَّهِ ، والحمدُ للَّهِ ، ولآ إلٰهَ إلَّا اللَّهُ، واللَّهُ أكبرُ ، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللَّهِ .

نُورٌ من ربِّنا فى قلوبِنا وأيدِينا

إنَّه النُّورُ الهادى إلى أفضلِ أنماطِ الحياةِ الإنسانيةِ، والمُرشِدُ إلى أطْهَرِ حياةٍ، وأشرفِها، وأنفعِها للإنسانِ؛ لأنَّه نورُ الخالقِ الرحيم، وهو أعلمُ ببناءِ النفسِ الإنسانيةِ، وبما يَضُرُّها، وما يَنْفَعُها، وإنَّ نورَه العظيمَ فى آيِ الذكرِ الحكيم يأخُذُ بيدِ الإنسانِ إلى أوْضَحِ المسالِكِ، فتَطْمَئِنُّ النُّفوسُ، وتَسْتَقِرُّ القلوبُ بينَ الجُنوبِ، وتَزُولُ الشُّرورُ، ويَنْمَحِى من حياةِ الإنسانِ الفسادُ والباطلُ والزُّورُ، ويعيشُ الناسُ بلا فِتَنٍ، مساجدُهم عامرةٌ، وجهودُهم مَبذولةٌ للبناءِ والعمرانِ، بفضلِ اتِّباعِهم للنورِ الهادِى، يأخُذُ بهم إلى صراطٍ مستقيم ملائِم للفطرةِ الإنسانيةِ السليمةِ لا انحرافَ فيه ولا اعوجاجَ، ولا ظُلْمَ ولا قَهْرَ، ولا تخريبَ ولا تَدميرَ.

إنَّه القرآنُ العظيمُ كلامُ ربِّ العالمينَ أعْجزَ الخَلْقَ لفظُه الوَضَّاءُ.

إنه أشرفُ الكلامِ، وأجملُه، وأعظمُه.

إنه أحلَى الكلامِ، وأفصحُه، وأنفعُه.

إنه خيرُ الكلامِ، وأزْكاه، وأشدُّه تأثيرًا وأطهرُه، لا يأتِيه الباطلُ من بينِ يدَيْه ولا من خَلْفِه.

إنَّه الهُدَى والنورُ الشافِى لما فى الصدورِ من الشُّبُهاتِ المُضلَّة ومن الشهواتِ التى تُفْسِدُ على الإنسانِ حياتَه، والشافِى من آفاتِ القلبِ المُهْلِكة: مثلِ الحسدِ، والغِلِّ، والحِقدِ وسائرِ ما يُفْسِدُ على القلبِ صفاءَه وأمْنَه، ومعَ بركاتِ الدُّنيا بفضلِ اتِّباعِه يجدُ المؤمنُ بفضلِ اللَّهِ الرَّحْمَةَ يومَ الدِّين، وفى حديثِ ابنِ عباسٍ رضِى اللَّهُ عنهما: «**مَن اتَّبعَ كتابَ اللَّهِ هَداه اللَّهُ من الضلالةِ، ووَقَاه سوءَ الحسابِ يومَ القيامةِ**».

واللَّهُ عزَّ وجَلَّ يقول: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾. [طه: ١٢٣].

ويقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه كما عندَ أبى بكرِ البَزَّارِ:

«إنَّ هذا القرانَ شافِعٌ مُشفَّعٌ : من اتَّبعَه قادَه إلى الجنَّةِ ، ومَن ترَكه وأعْرَضَ عنه دُحَّ فى قَفاه إلى النَّارِ». أعاذنا اللَّهُ عزَّ وجلَّ من غَضَبِه وانتقامِه من المُعْرِضين عن كلامِه، الغافلين عن العملِ بكتابِه وسُنَّةِ نبيِّه الأمينِ ﷺ.

فلنَسْأل أنْفُسَنا دومًا : إلى أينَ نسيرُ ؟ وكيفَ المصيرُ ؟

إنَّ كتابَ اللَّهِ وسُنَّةَ رسولِه الهادِى ﷺ أعظمُ وأنفعُ دستورٍ للحياةِ الكريمةِ الآمِنَةِ المطمئنةِ، فهل تمسَّكْنا بهما؟ لنعودَ أمةَ الحضارةِ العظيمةِ الكاملةِ الشَّافيةِ نقودُ الإنسانَ إلى برِّ الخيرِ والأمانِ؟

إنَّ أهلَ القرآنِ المحبِّينَ لربِّهم ولرسولِه ولكلامِ ربِّهم، المُقْتَدِين العاملين يَرفَعُ اللَّهُ أقدارَهم، ويَجعلُ الإكرامَ لهم فى النفوسِ، والهَيْبَةَ فى القلوبِ.

وفى حديثِ ابنِ عمرَ رضى اللَّه عنهما عندَ مسلمٍ :

« إنَّ اللَّهَ يَرفَعُ بهذا القرآنِ أقوامًا ، ويَضَعُ آخرينَ » .

يَرفَعُ اللَّهُ فى مَدَارِجِ أوليائِه الناجين الفائِزينَ أهلَ القرآنِ المحبِّينَ لكلامِ ربِّهم، الواقِفينَ عندَ حدودِه، العامِلِين بشرائعِه وأحكامِه المُتَعَلِّقة قلُوبُهم بمَحَبَّةِ اللَّهِ ومحبَّةِ كلامِه ومحبَّةِ رسولِه، المُخْلصينَ فى طاعتِهم لربِّهم.

وإنَّ اللَّه يضَعُ ويُذلُّ المتكبِّرين على طاعةِ اللَّهِ، المُعْرِضين عن كتابِه والعملِ به، فهؤلاء لهم سُوءُ المُنْقَلبِ والعياذُ باللَّهِ .

فاللَّهُمَّ اجْعلنا من المُهْتدينَ العامِلين بما أَمَرْتَنا به، السَّائرين فى نورِ كتابِك، العاملين بسُنَّةِ نبيِّك، ﷺ.

* * * *

عبدةُ الشيطان

يقولُ الماسُونُ: (إنَّ إبليسَ هو رَئِيسُنا، هو قائدُ الإصلاحِ البشرىِّ، هو المنتصرُ للعقلِ المُطْلَقِ وللحريَّةِ). (من جريدةِ الملحد (Ateo)) فى القرن التاسع عشر من الميلاد.

والنَّقلُ هنا من كتابِ (السِّرِّ المَصونِ فى شريعةِ الفرمَسُون) (بيروت ١٩١٠)، ومؤلِّفُه هو القِسُّ (لويس شيخو) ، وجريدةُ المُلْحدِ المشارُ إليها أعلاه كانت لسانَ حالِ الماسُونيَّةِ فى ليفورته.

وإنَّ إبليسَ هو أستاذُهم ، وعلى أيْدِيهم تمَّ نَشْرُ الفسادِ والرَّذائِلِ بكلِّ ما يُخالِفُ دينَ اللَّهِ ، وبكلِّ ما يَعرفون أنَّه يُرضِى الشيطانَ على نحوٍ منظَّمٍ، مع ترتيبِ جمعياتٍ وخططٍ نَفَذُوا بها إلى دولِ أوربا ، ثم إلى دُولِ بلادِنا العظيمةِ ، بوُجُوهٍ ونوادٍ متعدِّدةٍ ، ذلك مع تكوينِ الجمعيَّاتِ السِّرِّيَّة ، واستقطابِ النَّابِهين من

أولادِ الأُسَرِ الشهيرةِ والأغنياءِ ، ليجعلوا منهم أدواتٍ مُسخَّرة لأغراضهم الخبيثة .

ولنأخُذْ من أفواهِهم ما يَكْشِفُ لنا رذائلَهم وشرورَهم : قال الماسونيُّ بُرُودُونُ (Proudhon) وهو يَتَوَهَّمُ أنَّه في مِحرابِ الشيطانِ يَسْتَرْضِيه ، يقولُ : (هلُمَّ يا ستنائيلُ - يا إبليسُ - هلمَّ لأُقبِّلَك ، وأضمَّك إلى صدرِي إنِّي طالَمَا عرفتُك وعَرَفْتَنِي) . وقال آخرُ وهو سرافينا : (اهْدُوا تحيَّتَكم للمُصْلِحِ الكبيرِ ، ها هو ذا ستنائيلُ العظيمُ) . وستنائيلُ وصنتائيل هو إبليسُ .

وعلى مائدةٍ حافلةٍ بالمَخَازي والعارِ وقَفَ اليهوديُّ لمِّي (Lemmi) قبلَ مائةِ عامٍ يقولُ : (أُشِيدُ بذكرِكَ يا شيطانُ ، يا ملكَ وليمتِنا ، وأُقرِئُك تَحِيَّتِي الطَّيِّبَةَ يا إبليسُ ، وأرْفَعُ إليكَ بُخُوري المُقَدَّسَ) .

وقد نشَر القِسُّ (لُويسُ شيخو) في كتابِه (السِّرِّ المَصونِ) رُسومًا تَوضيحيةً لطُرُقِهم في عبادةِ

الشيطانِ ، على الشيطانِ وعليهم لعنةُ اللّهِ والملائكةِ والنَّاسِ أجمعين ، وكلمةُ (الفرمسون) فرنسيَّةٌ ، معناها : البنَّاءون الأحرارُ وإنّ حقيقتهم (الهدَّامون الفَوْضَويُّون) بكل ما تَحْمِلُ الكلمتانِ من المعانِى .

وللشاعرِ اليهودِيِّ الماسونِيِّ الإيطالِيِّ (كردوتشى) قصائدُ غنائيَّةٌ (عام ١٨٨٢م) فى عبادةِ الشيطانِ، وفى ٢٠ أيلولَ عامِ (١٨٨٤م) أبْرَزَ الماسونُ عبدةُ الشيطانِ (رايةَ إبليسَ) وقد صَنَعُوها بتَصوُّرهم ، وطافوا بها فى (جِنْوةَ) بإيطاليا، وطافوا بها فى رومَا عامَ (١٨٩١م).

وعن قُدَّاسِ عبدةِ الشيطانِ وأهدافِهم القَذِرَةِ الهَدَّامةِ يقولُ: (دى سيغور) فى كتابه عن الماسونِ (الطبعة ٩٦ عام ١٩٠٥) يقولُ : (إنَّ أعضاءَ محافِلِ الماسونِ الداخليَّةِ لا يَتَرَدَّدُونَ عن اقترافِ أَيَّةِ فاحشةٍ كانت، إمَّا نفاقًا أو قتلًا ، وهم يَنْضَوُون فى جمعيَّاتٍ سِرِّيَّةٍ يَلتَئِمُ أصحابُها ليلًا ، وكانوا يُقيمونَ قُدَّاسَ

الشيطانِ ، فى حيٍّ (ترنستا فيرى) ، وفى هذا القُدَّاسِ يَسْتَهِينون بالمسيحيةِ ، ويَرْفُضونَ الأديانَ والقِيَمَ الفاضِلةَ ، وغيرَ ذلك من الأفعالِ التى تَشْمَئِزُّ لها الأبدانُ وتشيبُ لبشاعتِها رءوسُ الأطفالُ).

ظهورُ هذا التَّنظيمِ البَشِعِ ، ومتى ظهَر بصورةٍ تَنْظِميَّةٍ :

فمتى ظهَر هذا التَّنظيمُ السياسِىُّ لعبدةِ الشيطانِ؟ وما أهدافُهم؟ وما وسائلُهم؟ إنَّ الرأسَ الذى وضَع لهم دُستورَ جرائمِهم اسمُه: (آدم وايز هاويث) يُسانِدُه المُرابُونَ اليهودُ ، وقد ظهَر فى القرنِ (١٨م) وكان أستاذَ علم اللَّاهُوتِ فى جامعةِ ألمانيَّةٍ (أنغول شتات) وكان ذا رُوحٍ شرِّيرةٍ ونفسًا خبيثةً، فاعْتَنق الإلحادَ .

واتَّفَق معه كبارُ المُرابِين اليهودِ فى ألمانيا على (مراجعةِ بُرُوتوكولاتِ حُكماءِ صهيونَ القديمةِ) لكى يَضَعَ دستورًا لفرضِ عقيدةِ الإلحادِ، وإقامةِ سَلْطَنةٍ للشيطانِ فى نفوسِ الناسِ، وقد أنْهَى هذه المُهِمَّةَ فى

عامِ (١٧٧٦م)، وكان التركيزُ على المناطقِ التى يَكْثُرُ فيها المسلمونَ والمسيحيون المُتَدَيِّنُون .

وخلاصةُ خطَّتِهم التى يَعملون لها حتى الآنَ هى :

- تدميرُ جميعِ الحكوماتِ الشرعيَّةِ المُسْتقرَّةِ .

- تقويضُ جميعِ الأديانِ السماويَّةِ .

- توليدُ المشاكِلِ والفِتَنِ باستمرارٍ بينَ أبناءِ كلِّ أُمَّةٍ على حِدَةٍ لتدميرِ استقرارِهم ، حتى يَستطيعَ اليهودُ أن يَنْفُذُوا لتحقيقِ أهدافِهم فى السيطرةِ على العالمِ . [ولنا عبرةٌ مِمَّا جَرَى ويجرى فى مناطق متعدِّدة ، وأهلُها غافلون مندفعون على عَمَى بصيرة مثل العراق والسودان ، والصومال ، وأفغانستان وقل ما شئت عن فلسطين وغيرها ، فمتى نتبصَّر ؟]

- تسليحُ كلِّ القُوَى والأحزابِ المتصارعةِ فى البلدِ الواحدِ ، بعدَ إيجادِ الفِتْنةِ السياسيةِ أو الدِّينيةِ أو

المَذْهبيّةِ أو الاقتصاديّةِ أو العصبيَّةِ العرقيَّةِ . . ونحو ذلك ، وهذا واضحٌ أمامَنا في كثيرٍ من الدُّولِ ، وقلَّ أن تَسْلَمَ أُمَّةٌ في عصرِنا هذا من هذه الفِتَنِ التي وراءَها عَبدةُ الشيطانِ .

- ومن أهدافِهم إيجادُ النِّزاعاتِ والخِلافاتِ بل والحروبِ بينَ الأُمَمِ المُتَجاوِرةِ . [مثل ما جرى في العراق والكويت وفي العراق وإيران ، وما يجرى بين باكستان وأفغانستان من مناوشاتٍ وحزازاتٍ تُنذر بالخطر الداهم ، وبين أثيوبيا والصومال وانظروا وتأمَّلوا] .

- وإشاعةُ الحقدِ والبَغْضاءِ بينَ أبناءِ البلدِ الواحدِ .

- هذا كلُّه لكَي يَصِلُوا إلى تحطيمِ الأنْظِمَةِ الاجتماعيَّةِ السليمةِ وتَفْكِيكِ قوَى الأُمَمِ المعروفةِ بالتَّرابُطِ ، وبالاستقرارِ تحتَ قيادةِ حكوماتٍ شرعيَّةٍ مقبولةٍ لدى الناسِ ؛ لأن الفوضى من أسلحتهم الهدَّامة .

- تأكيدُهم على هَدْمِ الفضائلِ الكريمةِ والأخلاقِ

السامية ، وعلى نشرِ الإباحَةِ والعُرْيِ وعدم الحياءِ من الظهورِ بذلك ، حتى يَنتشِرَ الكُفْرُ والفُسُوقُ والإلحادُ ، ويَتَحَلَّلُ الجيلُ الناشِئُ من الفضائلِ ، وقانا اللّهُ وأولادَنا من هذا الشرِّ ، وحفِظنا من كلِّ سوءٍ وفسادٍ .

ثم أسَّس هؤلاء المُجْرِمونَ (مَحْفلَ الشرقِ الأوْسَطِ) بهدفِ تقويضِ الخلافةِ العثمانيَّةِ ، ونشرِ الفَوْضَى والفسادِ فى الأُمَّةِ الإسلاميَّةِ ، يقودُ هذا المَحْفلَ كبارُ أحبارِ الكنيس اليهوديِّ (النورانيون) كما سمَّوا أنفسَهم، وذلك بالتّعاونِ مع المْؤسَّسات والأفرادِ العامِلين فى مجالِ الرِّبَوِيَّاتِ من أجلِ إيجادِ الدَّعْمِ المستمرِّ لنشاطِهم ، وما زال .

إن التَّبصيرَ واجبٌ والاحْتِرَازُ أوْجبُ ، ودائمًا نسألُ أنفسَنا : كيف نَحْمِى بلادَنا وأولادَنا من أساليبِ وألاعيبِ عبدةِ الشَّيطانِ ؟ ونُطهِّرُ مُجْتَمعاتِنا من كلِّ شرٍّ وفسادٍ ؟

الصدقُ من عَمَلِ الجنَّةِ
والكذبُ من عملِ النَّارِ

إنَّ الصدقَ يَدُلُّ صاحبَه دومًا على أبوابِ الخيرِ والبرِّ والإحسانِ فى القولِ والعملِ ، ويَجعلُ لصاحبِه فى نفوسِ الناسِ مكانةً خاصَّةً ، فالشخصُ الصادقُ يكون فى محلِّ تقديرٍ واحترامٍ ؛ لأن الصِّدْقَ عنوانُ شرفٍ ، وبابٌ عظيمٌ للنَّجاحِ فى الحيَاةِ ، ومن صَدَق يقينُه ، وصدَق لسانُه فإنَّ صدقَه يَهديه إلى كلِّ أبوابِ الخيرِ والبرِّ والإحسانِ فى أمورِه كلِّها .

ولذا نَجِدُ الصدوقَ أمينًا ووفيًا ، لا يَكْذِبُ ، ولا يَخونُ ، ولا يَنْقُضُ العهدَ ، ويُخْبِرُنا أبو هريرةَ ﷺ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « **لا يَجْتَمِعُ الكفرُ والإيمانُ فى قَلْبِ امرئٍ ، ولا يَجتمعُ الصِّدْقُ والكذبُ جميعًا ، ولا تَجْتَمِعُ الخيانةُ والأمانةُ جميعًا** » ذلكَ أنَّ إحدَى الخَصْلَتَيْنِ تَطْرُدُ نَقِيضَها إذا اسْتَقَرَّت فى القلبِ ، لذا

كان الكذبُ من أعْظَم الخِياناتِ . ففى حديثِ النَّوَّاسِ ابنِ سَمْعانَ : « **كَبُرَتْ خيانةٌ أن تُحدِّثَ أخاك حَدِيثًا هو لكَ مُصدِّقٌ ، وأنت له كاذِبٌ** ».

ذلكَ أنَّ الكَذِبَ يَقْلِبُ الحقائِقَ ، ويُضيِّعُ الحقوقَ على أصحابِها ، ويُضَلِّلُ الناسَ ، ومع الثِّقةِ فى المُتَحَدِّثِ الكاذِبِ قد تَنْشَأُ عَداواتٌ ، يَتَرَتَّبُ عليها مشاكلُ والناسُ فى غنًى عنها ، لهذا لعَن اللّهُ الكاذِبينَ الخرَّاصين، الذين يَقولون بكلِّ ما يَخْطِرُ بالبالِ دونَ الاعتمادِ على حقيقةِ الواقِعِ ، ولما كان الكَذِبُ ظلامًا لأنَّه يُغَطِّى الحقائقَ ، كانت وُجُوهُ الكذّابين كالحةً مَحْروقةً يومَ القيامةِ ، كما أن النَّميمةَ والسَّعْىَ لتَفْريقِ القلوبِ وإلقاءِ الأخبارِ الكاذِبةِ عن الناسِ سببٌ عظيمٌ لعذابِ القبرِ - كما جاءَ فى الحديثِ الذى رَواه أبو بُريدةَ -. وقانا اللّه من شرور حمَّالاتِ الحطبِ وحامليه الذين يَسْعَون بالفسادِ والإفسادِ .

إنَّ الصدقَ من خصالِ المُرسلينَ وأولياءِ اللَّهِ الصَّالحينَ ، أمَّا الكذبُ فهو سلاحُ إبليسَ اللَّعينِ ، يَكْذِبُ على العبادِ ليُهْلِكَهم أو يَدْفَعَهم لأسبابِ هلاكِهم عن طريقِ تَعوُّدِ الكذبِ يُحَسِّنُه لهم يَحْسبونَ أنَّه أسرعُ فى مجالِ الرِّبْحِ والغَنيمةِ مع أنَّه أقصرُ الطُّرُقِ إلى الفَشَلِ والخِزْيِ وإلى نُزولِ غضبِ الرحمنِ.

ونعوذُ باللَّهِ العَظيم من شُرورِ أنْفُسِنا ، ومن سَيِّئاتِ أعمالِنا ، ونعوذُ به سبحانَه من شُرورِ ولُؤْمِ وخِسَّةِ حَمَّالِى وحمَّالاتِ الحَطَبِ ، فهم رُءوسُ الفِتَنِ وأعوانُ إبليسَ اللَّعينِ ، حَمَانا اللَّهُ من مَكْرِهم وفسادِ أعمالِهم .

وإنَّ منصورَ بنَ المُعْتمرِ يَرْوى لنا حديثًا جاء فيه: « تَحَرَّوا الصِّدْقَ وإنْ رَأَيتُم أنَّ الهلكةَ فيه ، فإنَّ فيه النَّجاةَ » . وأخبَرنا الحبيبُ ﷺ فى حديثِ أبى هريرةَ أن : « برَّ الوَالِدَيْن يزيدُ فى العُمُرِ - أى يَجعلُ فيه البركةَ وكثرةَ الجهدِ والعَمَلِ النافعِ - وأنَّ الكذبَ

يُنْقِصُ الرِّزْقَ، وأنَّ الدُّعاءَ يَرُدُّ القضاءَ ». ولا شكَّ أنَّ التاجرَ الكَذُوبَ كصاحِبِ المِهْنةِ، ولذا جاء في الحديثِ البُشْرَى للتَّاجِرِ الصَّدُوق: « ما أمْلَق تاجرٌ صَدُوقٌ » - أي أنَّه في نجاح وفي سِتْرٍ وازديادٍ من الخير بفضلِ اللّهِ ورعايتِه، فاللَّهُمَّ حبِّبنا في أهلِ الصِّدْقِ، وحبِّب الصِّدق إلى قلوبنا.

* * * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾

[سورة التوبة].

عيدُنا حبيبُنا

إنَّ عيدَ فِطْرِنا زائرٌ كريمٌ مُشرِقُ الوَجْهِ، يُجَدِّدُ فينا العَزْمَ على الثَّباتِ على طاعةِ الربِّ، إنَّه يومُ الحمدِ والشكرِ، فطُوبَى لمَن جاءَه العيدُ وقد وفَّقه ربُّ العِزَّةِ والجَلالِ لصيامِ شهرِ الصَّبرِ ولقيامِ ليَالِيه فى طاعة اللَّه، فيَجِيءُ العيدُ بالبَهْجةِ والسُّرورِ، ويجمعُ قُلوبَ المؤمنين الصَّادقين على المزيدِ من المَحَبَّةِ والإخْلاصِ.

وبلسانِ الحالِ يُفاجِئُنا العيدُ بلسانٍ فصيحٍ: أنا الزَّائرُ الذى لا يَتخلَّفُ عن وقْتِه، أنا أُحبُّكم لأنَّكم تُحِبُّونِى، وأفرحُ لفرحِكم، لأنَّكم تَفْرَحُون بقُدومِى، وتُؤْلِمُنِى آلامُكم، ويَعصِرُ قلبى ما آلَ إليه حالُكم فى هذه السِّنين:

إن الأمَّةَ العظيمةَ صارَت أُمَمًا، والوطنَ الواحدَ صارَ فِرَقًا، ظلَمْتُم أنفسَكم يا أهلَ الإسلام، فهان

أمرُكم على عدوِّكم ، نَسِيتُم اللَّهَ فأنساكم مصالحَ أنفسِكم ، قرأتُمُ القرآنَ ولم تَعْمَلُوا به ، عَرَفْتُم اللَّهَ فعَصَيْتُموه ولم تُؤدُّوا حقوقَه عليكم ، آمَنْتُم بمحمدٍ ﷺ ولم تَتَّبِعوا سُنَّتَه ، عرفتم جهادَه وأسبابَ نصرِه على جَحافِلِ المجرمين والمتكبِّرين ، ولم تَنْتَفِعُوا بما عَرَفْتُموه من سِيرتِه ، عَرَفْتُم الجنَّةَ ولم تَعْمَلُوا لها حقَّ العملِ ، وعَرَفْتُم النَّارَ ولم تَهْرُبُوا منها ، فأوْقَدْتُم لهيبَها بالتَّقليدِ الأعمَى لمفاسِدِ الغَرْبِ وانحرافِه عن صِراطِ الحقِّ، وانْجِرافِه فى وَحْلِ الرذائلِ والقَبائِحِ، وأنتُم لستُم أهلًا لذلك، ومن البلاء أنكم رفَعْتُم راياتِ الفُرْقَةِ والتَّخاذُلِ فرفَع عدوُّكم فى أعزِّ ديارِكم أعلامَه مُلَطَّخَةً بدماءِ فَلَذَاتِ أكبادِكم ، غَفَلْتُم عن إعدادِ القوَّةِ فانْتُقِصَتْ أطرافُ بلادِكم ، وحَبَا اللَّهُ بلادَكم بالخَيْراتِ والبَرَكاتِ فنِمْتُم واسْتَرْخَيتُم فتسلَّط عليها الثعالِبُ والكلابُ ، من كلِّ طريقٍ وبابٍ .

انْهَضُوا ، قُومُوا ، أَسْرِعُوا لِرَأْبِ الصَّدْعِ ، ولجَمْعِ الشَّمْلِ ، أَزِيلُوا كُلَّ أسبابِ الشِّقاقِ والخِلافِ والخِصام ، تَعاوَنُوا من أجلِ حياةٍ أفضَل ، الْتَفِتُوا إلى مصادرِ حضارتِكم وقُوَّتِكم ، واتْرُكُوا التَّقليدَ الأعمَى ، لأنَّكم أهلُ الطَّهارةِ والفضيلةِ والصِّيانةِ عن كلِّ ما يُسِيءُ إلى الكَرَامةِ ، أو يَضُرُّ بالشَّرفِ والأمانةِ .

إنَّكم القُدْوةُ الصحيحةُ ، فولُّوا وجوهَكم قِبَلَ قبلتِكم وقِبَلَ كتابِ ربِّكم وسيرةِ رسولِكم ، لا قِبَلِ الغربِ المُنهارِ ، وسَيَرى المُفْسدونَ فى الأرضِ أىَّ مُنقلبٍ يَنْقَلِبُون ، فلا تغرَّنَّكم يا أُمَّةَ الحياةِ الفاضلةِ والرَّحمةِ ، والعَدالةِ ، والأخُوَّةِ والمحبَّةِ ، لا تَغُرَّنَّكم أبْوَاقُ عَبَدةِ الشَّيْطانِ ، فالحقُّ حقٌّ ، والباطلُ باطلٌ ، والباطلُ إلى ضياعٍ وانهيارٍ ، ولو كَرِه المجرمون .

أقولُ لكم : يا أهْلِى وأحْبابِى : أَدخِلُوا السُّرورَ على قلوبِ اليَتَامَى والأرَامِلِ والمساكين، وعلى قلوبِ أطفالِكم الذين خَطَف عدوُّكم البَسْمَةَ من على

أفواهِهم، أدْخِلُوا عليها السُّرورَ بالعَوْدةِ إلى الاعتصامِ بحبلِ اللَّهِ المَتِينِ.

ويهتف عيدُنا: سلامًا.. سلامًا، إلى أن ألقاكم يا أحبابى: والشمسُ ساطِعةٌ، وقد زَالَتِ الغُيومُ، والأرضُ طاهِرَةٌ، ومياهُ الحُرِّيَّةِ والعَدَالةِ والطَّهارةِ جاريةٌ فى بلادِكم العزيزةِ، ولكم دَعَواتِى بالنَّصْرِ والخيرِ وبالحياة الآمنةِ وبالتوفيقِ فى طريقِ الحقِّ.

* * * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم
مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ
وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ
فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾
وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران]

الأغنياءُ المُفْلِسُون

تَوْجِيهٌ نبويٌّ شريفٌ للتَّحذيرِ من العُدْوانِ على الآخَرِين وحقوقِهم:

روى أبو هريرةَ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال لأصحابِه يومًا: **«أتَدْرُونَ من المُفْلِسُ؟»، قالوا: المُفْلِسُ فينا مَن لا دِرهمَ له ولا مَتاعَ، فقال ﷺ: «المُفْلِسُ مِن أمَّتِي مَن يَأتِي يَوْمَ القيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتِي قد شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأكَل مالَ هذا، وسفَك دمَ هذا، وضرَب هذا، فيُعْطَى هذا من حسناتِه، وهذا من حسناتِه، فإن فَنِيتْ حسناتُه قبلَ أن يُقْضَى ما عليه، أُخِذَ من خطايَاهم فطُرِحت عليه، ثم طُرِحَ فى النَّارِ»** [أخرجه مسلم وغيره] - أى: فى حالِ نُقصانِ حسناتِه وزيادةِ سيِّئاتِه عليها، بالعَدْلِ الإلهِيِّ ولا يَظْلِمُ ربُّك أحدًا، ولا تَضيعُ عنده حقوقُ أحدٍ.

المعاملاتُ وثيقةُ الصِّلةِ بالعباداتِ:

ربَط الإسلامُ الخُلُقَ الحَسَنَ والمعاملاتِ بينَ الناسِ بالتَّديُّنِ وبالتَّقْوى أوثقَ ربطٍ؛ إذ إنَّ حقوقَ العبادِ شأنُها عظيمٌ وخطرُها جسيمٌ، وقد يكونُ فينا من يُحافِظُ على أداءِ الفرائِضِ والعباداتِ، ولكنَّه يَتَخَوَّضُ فى أموالِ الناسِ ولا يَتَحَرَّى الحلالَ والحرامَ، وقد يَغشُّ أو يَمُدُّ يدَه للرِّشْوَةِ، أو يأخُذُ حُقُوقَ غيرِه، أو يَمْتنعُ عن ردِّ الأمانةِ يريدُ بذلك الغِنَى لنفسِه بأموالِ غيرِه من الناسِ فى الدُّنيا، ولكنَّه المُفْلِسُ حقًّا فى يومٍ لا يَنفعُ فيه مالٌ ولا بنونَ إلَّا من أتَى اللَّهَ بقلبٍ سليمٍ.

ويَدخُلُ فى زُمْرةِ المُفْلِسين الشَّخصُ الذى يَغتابُ الناسَ، ويَتَحَدَّثُ عنهم بما يكرهونَه، أو يسعَى للإساءةِ إليهم والغضِّ من شأنِهم، ومثلُه مَن يسبُّ الناسَ أو يُؤذِيهم بلسانِه أو بيدِه، وكذلك من يَحْملُ فى نفسِه الحِقْدَ أو يَسعَى بالنَّميمةِ، والوقيعةِ بينَ الناسِ، أو

بالفتنةِ للإضْرارِ بهم، ونحوِ ذلك، وذلك مثلُ حمَّالاتِ الحَطَبِ، وحَمَّالِي الحَطَبِ، وقَانا اللَّهُ شُرورَهم، وأخْزاهم، فهؤلاء من أشَرِّ المفسدين فى الأرض.

وإنَّ المسلمَ يَعْلَمُ أنَّ سُوءَ الخُلُقِ يُفسِدُ على المَرْءِ المسلم أعمالَه الصَّالِحةَ كما جاءَ فى الحديثِ: « **إنَّ الخُلُقَ السَّيِّئَ يُفسِدُ العملَ كما يُفسِدُ الخَلُّ العَسَلَ** ».

[أخرَجه الطبرانى فى الكبير والأوسط والبيهقى].

وفى الحديثِ: « أكملُ المؤمنين إيمانًا أحْسَنُهم خُلُقًا ». وزادَ فيه محمدُ بنُ نَصْرٍ المَرْوزِيُّ: « إنَّ المَرْءَ ليَكونُ مؤمنًا وإنَّ فى خُلُقِه شيئًا، فيُنْقِصُ ذلك من إيمانِه ».

المعاملاتُ الطَّيِّبةُ من خِصالِ أهلِ التَّقوى:

إنَّ إحسانَ العِشْرَةِ للنَّاسِ، والحفَاظَ على حُقُوقِهم، وإنَّ رعايةَ عُهُودِهم، وأداءَ أماناتِهم

إليهم، مع حُسنِ الخُلُقِ مَعهم، لمِن خصالِ التَّقْوى، وإنَّ كلَّ عبادةٍ أمَرنا اللَّهُ بأدائِها، وإنَّ كلَّ طاعةٍ نَتَقَرَّبُ بها إليه سبحانَه إن لم تُنْبِتِ الخيرَ فى نفوسِنا، وتَظْهَرْ ثمرتُها الطَّيِّبَةُ فى معاملاتِنا فإنَّ صاحبَها يَكونُ فى حاجةٍ إلى أن يُراجِعَ نفسَه، ويُحاسِبَها، ويَزِنَ أعمالَه قبلَ أن تُوزَنَ عليه، ولنَتَدَبَّرْ قولَ اللَّهِ تعالَى فى الصلاةِ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾. [العنكبوت: ٤٥].

ولنتدبَّرْ ما جاء فى شَأْنِ الصَّدقةِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾. [البقرة: ٢٦٤]. لنرَى كيفَ يكونُ إيذاءُ الفقيرِ بالقَوْلِ أو بالفعلِ مُضَيِّعًا لثوابِ الصَّدَقةِ!. كما نهَى اللَّهُ عزَّ وجلَّ عن المعصيةِ وسُوءِ الخُلُقِ فى وقتِ أَداءِ الحَجِّ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّۗ﴾. [البقرة: ١٩٧].

فإنَّ كلَّ ما يُغضِبُ الرحمنَ، مِمَّا يُسِيءُ إلى النَّاسِ، فى نفوسِهم، أو أموالِهم، أو أعراضِهم، أو يُؤدِّى إلى الخِصامِ والشِّقاقِ يَكونُ سببًا فى نُقْصانِ ثوابِه أو ضَياعِه، فليتدبَّرْ أولُو الألبابِ.

وإنَّ المؤمن الذى لا يُمْسِكُ لسانَه وجوارحَه عن الشرِّ والسُّوءِ فإنه لم ينتفع بعبادته وليس له من صيامِه إلَّا الجُوعُ والعَطَشُ، وقسْ على ذلك، واطلُب من اللَّه دَوْمًا التَّوفيق لما فيه رِضاه سبحانه.

إن الإسلامَ يُريدُ من أتباعِه أن يَعِيشُوا على إخلاصٍ، وصفاءٍ، ومودَّةٍ من القلبِ، يَأمَنُ بعضُهم بعضًا، ويَثِقُ بعضُهم فى بعضٍ، ويَكْرَهُ المؤمِنُ لإخوانِه ما يَكْرهُه لنفسِه، ويَسْعَى فيمَا فيه صلاحُ جيرانِه، وزملاءِ العَمَلِ، ويَعْطِفُ على ذى الحاجَةِ، ويُواسِى الضعيفَ والمريضَ، ويَحْنُو على الشيخِ الكبيرِ ويُوقِّرُه، ويَرْحَمُ الصغيرَ واليَتِيمَ والأرْمَلَ.

ويَعملُ المؤمِنُ دومًا على أن يؤكِّدَ روابطَ الإخَاءِ والمحبَّةِ والتَّراحُمِ والتعاطفِ مع أبناءِ مُجْتمعِه وفى محيطِ عملِه، ويكونُ عَوْنًا فى الشدائدِ.

هذه جوانبُ من أدبِ الإسلامِ وتَوْجِيهه للمسلمِ فى خاصَّةِ نفسِه، وفى علاقتِه بالآخَرِينَ، يَنبغى لنا أن نَعِيها جيِّدًا.

ونَحْمَدُ اللَّهَ أن جعَلنا من الأُمَّةِ التى هى خيرُ الأُمَمِ فى كلِّ مناهجِ الحياةِ.

* * * *

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠)﴾ [آل عمران : ١١٠]

مع الأمانة والأمناء
ووقانا اللَّه الخيانةَ وشُرورها

* * *

وجاء الزمان الذى نقول فيه :
فى قرية كذا رجلٌ أمين

[١] الأمانة من خصال أهل البِرِّ والخير

قال رسول اللَّه ﷺ : « . . أربعٌ إذا كنَّ فيك ، فلا عليك ما فاتك من الدنيا : حفظُ أمانةٍ ، وصِدْقُ حديثٍ ، وحُسْنُ خليقةٍ ، وعِفَّةٌ فى طُعمَةٍ » ، الحبيب المصطفى ﷺ يرشد أمته إلى مكارم الأخلاق ويحثُّهم على التحلِّى بمحاسن الآداب ، وتلك أربع خصال من تحلَّى بِهِنَّ فلا عليه ما فاته من الدنيا : إذا اؤتمن حفظ الأمانة ، وإذا تحدَّث صدق ، وأن يكون حسَنَ الأخلاق ، سهلَ الطبع ، ليِّنَ الجانب ، وأن يتحرَّى الكسب الحلال ، ولا يطمع فيما ليس له بحق .

والأمانة هى كل ما يؤمَنُ عليه المرءُ من أمر ونهى وشأن من دين ودنيا : فرعايةُ حقوق اللَّه تعالى، بتأدية الفرائض، والواجبات، وبترك المحرمات أمانة ، وقد رُوِى هذا المعنى مرفوعًا من حديث ابن مسعود ﵁ عن النبى ﷺ قال: « **القتلُ فى سبيل اللَّه يكفِّر الذنوبَ كلَّها** » أو قال : « **كلَّ شىء إلَّا الأمانةَ فى الصلاةِ ، والأمانةَ فى الصوم ، والأمانةَ فى الحديث ، وأشدُّ ذلك الودائع. .** » وقد قال جمع من الصحابة ﵃ ، عن الأمانة في قول اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء : ٥٨].

قالوا : الأمانة فى كل شَىء ، فى : الوضوء ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والكيل والميزان والودائع . ومن الأمانة حِفظُ حقوق العباد ، فلا يطمع المرء فى وديعة اؤتمن عليها ، ولا ينكر مالًا وُكِلَ إليه أمرُ حراسته ، أو دينًا فى ذمَّته .

روى أبيُّ بن كعب قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «**أدِّ الأمانَةَ إلى مَنِ ائْتَمَنَكَ ولا تَخُنْ مَنْ خانَكَ** . .» . وواضح من هذا الحديث أنه لو كان المودِعُ نفسُه قد خان الأمانةَ من قبلُ ، فلا ينبغى للمؤمن أن يخونَه في وديعتِه ، وإنما عليه أن يعملَ بدِينه ، فيفىَ له ، ويؤدِّىَ إليه أمانتَه ، ثم يستعين اللَّه عليه ، وهذا نهاية الكمالِ الإنسانى فى خُلُقِ الأمانةِ ، ووجوبِ تجنُّب الخيانة .

فالمؤمن الذى يخشى ربه ، ويرجو ثوابه يسارع إلى ردِّ الأمانة إلى صاحبها إذا ما استردَّها منه ، روى أبو أمامةَ قال : سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول فى خطبته عام حجة الوداع : «**العاريةُ مؤدَّاة ، والمنحة[1] مردودة ، والدَّيْنُ مقضىٌّ ، والزعيمُ غارم** . .» .

(١) منحة الورِق : القرض ، ومنحة اللَّبن : أن يعطيه ناقة أو شاة ، ينتفع بلبنها ويعيدها وكذلك إذا أعطاه لينتفع بوبرها وصوفها زمانًا ثم يردها . النهاية فى غريب الحديث والأثر (٤/ ٣٦٤) .

وإن عقودَ شركاتِ التجارة بين التجار والمتعاملين من جُملة الأمانة الواجبُ الاستمساكُ بها والوفاءُ بشروطها.. قال رسول اللَّه ﷺ: «**المسلمون عند شروطهم**».. وقال ﷺ: «**إنَّ اللَّهَ يقولُ: أنا ثالثُ الشريكين ما لم يخن أحدُهما صاحبَه فإذا خانه خرجتُ من بينهما**».

الأمانة من أعظم أسباب نجاح الشركاء:

والمعنى: أن معونة اللَّه وتوفيقَه يكونان مع الشريكين الأمينين، فإذا خان أحدُهما صاحبه ارتفع أثرهما من تجارتهما، بالحرمان من معونة اللَّه وتوفيقه، وهذا أمرٌ مُشاهَدٌ فى الحياة، فإنَّ صفة الأمانة فى التاجر توطِّد ثقةَ إخوانِه فيه، وتجعلهم يُقبلون على معاملته، فتزداد أرباحُه، ويتحقق نجاحُه، وبالعكس إذا كان غير أمين، فإن الإفلاس يَحِلُّ به، والناس ينصرفون عن معاملته..

ومن ثَمَّ قال الحبيب المصطفى ﷺ : « **الأمانةُ غِنًى** » . وقال : « **الأمانة تَجْلِبُ الرِّزقَ ، والخيانةُ تجلبُ الفقرَ** » . ومن صفات التاجر الأمين أنه لا يستعمل الغشَّ ، ولا التطفيفَ فى وزن أو كيل ، ولا يُخفى عيوبَ السِّلعة .

ولقد حذَّر الإسلامُ مِنَ الغِشِّ فى المُعاملاتِ والخيانةِ فيها . قال ﷺ : « **مَنْ غَشَّنا فَلَيْسَ مِنَّا ، المَكْرُ والخَدِيعةُ والخيانَةُ فِى النَّارِ** » .

إن الأمانةَ عظيمةُ القدْر فى الدين ، ومن عِظم قدْرِها أنها تقوم هى والرَّحِمُ على جَنَبَتَي الصراطِ ، فلا يُمَكَّن من الجواز إلَّا من حَفِظهما ، فليتَّقِ اللَّهَ المؤمنُ فى الأمانةِ ؛ فإنه لا إيمان لمَن لا أمانةَ له ، كما أخبرنا الحبيب المصطفى ﷺ.

وإنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يأمرنا برعاية الأمانةِ ، وتأديتها على الوجه الصحيح المطلوب ، ومن الأمانة أداءُ

حقوقِ اللَّه ، والانقيادُ لسنَّة حبيبه محمدٍ ﷺ ، وإقامةُ العدلِ بين الناس ، وطاعةُ المؤمن لوليّ الأمر فى الأمور التى لا يوجد فيها معصية للَّه ، ولا مخالفة لرسولِ ﷺ ، قال سبحانه وتعالى من سورة النساء :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ .

[٢] للأمانة ميادين ومجالات

علينا أن نعلمَ يا أهلَ البصيرة أن الأمانة كما تكون فى العبادات ، وفى الأموال فإنَّها تكون أيضًا فى كتمان السرِّ ، وفى إخلاصِ المشورة للمستشير ، وفى الفتوى ، وفى الحديث مع الآخرين ، وفى الشهادة ،

وفى صِدق التبليغ فيما كُلِّفَ الشخصُ أن يُبلِّغه .

فمَن حَمل رسالةً عليه أن يُوصِّلَها على وجهها الصحيح بلا زيادةٍ أو نقصانٍ .

والذى يستودع أخاه سرًّا فهو واثقٌ به، مطمئنٌّ إلى كتمانِه ، فيصير السرُّ أمانةً ينبغى أن تُحفظ ، والذى يستشير أخاه فى أمرٍ ، فهو يبغى عنده النصيحة والإخلاص ، فصار من الأمانة أن ينصح له ، ولا يغشَّه . . ولنتدبَّر قول الحبيب المصطفى ﷺ : **« المستشارُ مؤتمَن ، فإذا استُشِيرَ أحدُكم فليُشِر بما هو صانع لنفسه »** . أى يجعل أخاه بمنزلة نفسه ، فما يُحبه لنفسه ينصح به أخاه .

وقد حذَّر الحبيبُ المُصطفى ﷺ مِن الخيانة فى الشورى فقال : **« مَنْ أشارَ إلى أخيه بأمْرٍ يَعْلَمُ أَنَّ الرُّشدَ فى غيره فقد خانه »** . ومن الأمانة أن يقوم المؤمن بواجبات العمل أو الوظيفة التى يشغَلُها

بصدق وإخلاص ، فيجتهد فى أداء العمل على أكمل وجه ، ولا يتوانى فيه ، فالعملُ والوظيفة بمثابة العهد بين المرء وأمَّته ، أو بينه وبين صاحب العمل ، فعليه أن يراقب اللَّه فيه . . وقد مدح القرآن الكريم الأبرار الناجين من عذاب جهنم فقال فى صفتهم : ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨﴾ [المؤمنون : ٨].

وهذا عامٌّ فى كل ما اؤتُمن عليه المؤمنون ، وعُوهدوا به من جهة اللَّه تعالى ، ومن جهة الناس كالتكاليف الشرعية ، والأموال المُودعة والأيمان الموثَّقة ، والنذور الملتَزَمة ، والعقود المحترمة ، وغير ذلك ؛ ولهذا جُمِعت الأمانةُ فى الآية دون العهد : ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٥٨﴾ .

* * * *

[٣] إن الأمانة هى ينبوع السعادة ومصدر الفلاح

إن الأمانة هى ينبوعُ السعادة ، ومصدرُ الفلاح ، وبها يثق الناسُ بالمرء ، فيمنحونه أموالهم يتَّجر بها وأعمالهم يتصرَّف فيها ، فَيُفيد ويستفيد ، ويجدُ الأمينُ المعونةَ على الشدائد فى كل وقت ، وإن الأمَمَ لم ترقَ ولم تحظَ بالغِنى إلَّا بالأمانة ، فما ربحت تجارةٌ وازدهرت إلَّا بها ، ولا راجت صناعة بغيرها ، ولا أفلحت شركة بسواها .

إن الأمانة فى الناس والمُحافظة على العهود المُوثَّقَة بينهم هي سبب كل خير وسعادة وصلاح ، وقد أخبرنا الحبيب المصطفى ﷺ أن أمَّته لا تزال بخير ، ما لم ترَ الأمانةَ التى تؤتمن عليها غنيمةً حلالًا لها ، حتى يكثرَ ذلك بين أبنائها لضعف الدِّين ، وإيثارِ الدنيا الفانية على العمل الصالح رجاءَ الرَّحمة فى الآخرة ، فنجد المرءَ يخونُ الأمانةَ ، ويغدر

بصاحبها ، وفى هذا : قال ﷺ : « **لا تزالُ أمَّتى بخَير ما لم تَرَ الأمانَةَ مَغنَمًا ، والصِّدْقَ مَغْرمًا** » .

وقال ﷺ : « **أربعٌ مَن كُنَّ فيه كان منافقًا خالِصًا ، ومن كانت فيه خَصلةٌ منهنَّ كانت فيه خصلةٌ مِن النِّفاقِ حتى يَدَعَها : إذا اؤتُمِن خان ، وإذا حدَّث كَذَبَ ، وإذا عاهَدَ غدَر ، وإذا خاصَم فجَرَ** » . فهذا هو النِّفاقُ العمليُّ إذا اتَّصفَ به مؤمنٌ صحيح الإيمان ، كان عليه وِزْرُه وجزاؤه ؛ لأنه اتَّصف بصفات المنافقين فى الاعتقاد الذين مصيرُهم الخلودُ فى جهنم لبُطلان إيمانهم وفساد عقائدهم ، والعياذُ باللَّه ، فلا يعمل المؤمنُ مثلَ عملهم لِتَسْلَمَ نفسُهُ وأعمالُهُ من خصال السُّوء .

نسأل اللَّه عزَّ وجلَّ أن يُحَبِّبَ الأمانةَ إلى نفوسِنا ، وأن يرزقَنا الإخلاصَ فى القولِ والعملِ ، إنَّه نِعْمَ المَوْلى ونِعْمَ النصير . .

* * * *

[٤] ومن الأمانة جوارحك ومسؤولياتك

إن كلَّ حقٍّ عندك للغير تُؤدِّيه فهو أمانة ، فالدَّينُ أمانةٌ ، والوديعةُ أمانةٌ ، وإنَّ الرسولَ ﷺ يقول : « مَنْ أخَذ أموالَ الناس يُريدُ أداءَها أدَّى اللَّه عنه ، ومَن أخذَها يُريد إتلافَها أتلفه اللَّه » . والمعيار الحقُّ فى الكيل والميزان أمانة ، وإنَّ نُصْحَ الناسِ أمانةٌ ، وإنَّ حقوقَ الزوجِ على الزوجة أمانةٌ ، وإنَّ حقوقَ الزوجة على زوجها أمانة ، وإن دمَ الإنسانِ وعِرْضَه أمانةٌ ، والسرَّ أمانةٌ .

ومن الأمانة ألَّا يستعملَ المرءُ سمعَه أو نَظَره ، أو شيئًا مِن جوارحِه فى فُحشٍ أو باطلٍ فلا يقولُ لسانُه إلَّا حقًّا . وإنَّ كُلَّ ما يطلُبُه الدِّينُ مِنَّا مِن خَيْرٍ أمانةٌ ، وكُلَّ ما يطلبُ منا تركَه من شرٍّ أمانةٌ .

إنَّ الصادقَ فى قولِه ، الوفىَّ بعهده ووعدِه ، الأمينَ على ما اؤتُمِن عليه مُقرَّب مِن اللَّه ، مُنَعَّمٌ فِى

أَهْلِه ، مُحبَّب مِن الناس أجمعين ، إنْ قالَ قُبِلَ قولُه ، وإذا طلَب أُجيبَ إلى طلَبِه ، أموالُ الناسِ كأنَّها أموالُه ، وثروتُهم كأنَّها ثروتُه ؛ لأنَّهم يدفعون ما يحتاج الأمينُ إليه من أموالهم ، ويسلِّمونه ما يشاء من البضائع المملوكة لهم طيِّبة نفوسهم ، منشرحة صدورُهم ، ذلك لأنهم واثقون من دينه وأمانته وأنه لا يُماطل فى حقٍّ ، ولا يسوِّف فى وعدٍ .

وهكذا كان السلفُ الصالحُ فمثَّلوا هذا الدينَ أصدقَ تمثيل ، وبلَّغوه للأمم أحسنَ بلاغ بالأعمال قبل الأقوال ، ومن وصايا رسول اللَّه ﷺ قوله لأبى بكر رضي الله عنه : « **عليك بصدق الحديثِ ، ووفاءِ العهدِ ، وحفظِ الأمانةِ ، فإنَّها وصيةُ الأنبياءِ** » .

وكان عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه يقول : « لا يُعجبكم مِنَ الرَّجُلِ طَنْطَنَتُهُ ، ولكن مَن أدَّى الأمانةَ ، وكفَّ عن أعراضِ النَّاسِ فهو الرَّجُلُ » .

للمسؤولين عن أموالِ النَّاسِ وأُمُورِهم :

واستعمل رسولُ اللَّه عاملًا على الصدقةِ- هو ابن اللَّتيبية- فجاءه العامل حين فرغ من عمله، فقال: يارسولَ اللَّه ، هذا لكم ، وهذا أُهدِى إلىَّ ، فقال له : « **أفلا قعدتَ فى بيتِ أبيك وأمّك فنظرتَ أيُهدى إليك أم لا** » . . ثم خطب رسول اللَّه ﷺ في الناس عشيَّةً فقال: « **أمَّا بعد، فما بالُ العاملِ نستعملُه فيأتينا فيقول : هذا لكم وهذا لى ؟ والذى نفسُ محمدٍ بيده لا يُغِلُّ أحدُكم منها شيئًا إلَّا جاء به يوم القيامة يحمله على عُنُقِه ، إن كان بعيرًا جاء له رُغاء ، وإن كانت بقرةً جاءَ لها خُوار ، وإن كانت شاة جاء بها تَيْعَرُ** » - أى تصيحُ . والعامل هنا القائمُ المسؤول عن إدارة أمور الناس فى أى موقع من الحكومة .

وقال الإمامُ علىٌّ ﷺ : أداءُ الأمانة مفتاحُ الرِّزْقِ .

وقال الإمامُ علىٌّ ﷺ : كنا جلوسًا عند رسول اللَّه

ﷺ فطَلَع علينا رجلٌ من أهل العالية ، فقال : يارسولَ اللَّهِ ، أخبرنى بأشدِّ شىءٍ فى هذا الدِّينِ وألْينه ، فقال : **« ألْيَنُهُ أشهدُ أن لاَ إلٰه إلَّا اللَّهُ وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه ، وأشدُّه يا أخا العاليةِ الأمانةُ ، إنَّه لا دِينَ لِمَن لا أمانةَ له ، ولا صلاةَ له ، ولا زكاةَ له »** .

وقال ﷺ : **« إذا جَمَعَ اللَّهُ الأوَّلِينَ والآخِرِين يَوْمَ القيامةِ يُرْفَعُ لكُلِّ غادِرٍ لواءٌ ، فقيل هذه غدرةُ فلانٍ بن فلانٍ »** .

وقال ﷺ : **« الأمانة تَجلِبُ الرزقَ ، والخيانةُ تَجلِبُ الفقرَ »** .

جَعَلَنا اللَّهُ مِن أهل الأمانةِ بفَضْلِه وإحسانِه .

* * * *

الزكاة فى أموال اليتيم والصغير

(من فتاوى الإمام السُّبكى المُنوفى
وهو الشيخ أبو الحسن تقىُّ الدِّين على بن عبد الكافى
تُوُفِّىَ سنة ٧٥٦ من الهجرة)

السؤال : عن زكاة أموال اليتيم ؟

الجواب باختصار : أن الرأى الراجح المختار لدى جمهور العلماء أن زكاة أموال اليتيم تجب ، ويقوم الولىُّ بإخراجها فى وقتها ، وحسب الشروط الشرعية فى النِّصاب وغير ذلك .

وهذا قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وأمير المؤمنين على بن أبى طالب وعدد من الصحابة (رضوان اللَّه عليهم أجمعين) .

وقد أخرجت أمُّ المؤمنين (رضى اللَّه عنها) زكاةَ أموال ابنَىْ أخيها ، وهما : القاسم بن محمد بن أبى بكر وأخوه ، وكانا فى كفالتها ، وقد روى ذلك القاسمُ نفسه ،

ورواه مالك فى الموطأ عن عبد الرحمن بن القاسم .

وقال المفتى السبكى بعد أن عرض أربعةَ أقوال مع هذا الرأى : قال : ونظرنا فى الأقوال الخمسة فوجدنا : أرجحَها فى نظرنا الأولَ ، وهو قول عمر ابن الخطاب ، أى القول بوجوبها ، ووجوب إخراجها ، ويأْثَمُ الولِيُّ اذا لم يُخرِجْها ويَضْمَنُ .

واستشهد بحديثٍ شريفٍ عند الترمذى رواه بسنده عن ابن عمرو بن العاص قال : خطَبَ النبى ﷺ الناس فقال فى خطبته : « **أَلَا مَنْ وَلِىَ يَتِيمًا له مالٌ ، فليتَّجِرْ فيه ، ولا يَتْرُكْهُ** - أى بدون تثمير - **حتَّى تَأْكُلَهُ الصَّدَقَةُ** » .

وقد لاحظ المفتى : أن المَتْن فى هذا الحديث ضعيف ، أى لم يصل إلى مستوى القوة والبلاغة النبوية ، وإن الحديثَ الضعيفَ من أىِّ وجهٍ إذا انضمَّ إلى غيره تَقَوَّى به ، فقد جاء عند الدارقطنى مأخوذ عن النسائى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه ابن

عمرو- وهؤلاء فى سند الحديث السابق - أن الرسول ﷺ قال : « **احْفَظُوا اليَتامَى فِى أَمْوالِهِمْ لا تأكلها الزَّكاةُ** » لكن فى سنده شخص اسمه (مندل) وهو ضعيف .

وجاء عند الدارقطنى رواية ابن عمرو : « فى مال اليتيم زكاة » ، وفى سند هذا الحديث : (محمد بن عبد اللّه العزْرمى عن عمرو بن شعيب) ، والعزرمى ضعيف . ولكن يُقَوِّي هذه الآثار ، حديثٌ صحيحٌ مُرسَلٌ رواه التابعى يوسفُ بن ماهك ، ولفظ الحديث : « **ابتغوا فى مال اليتامى لا تُذهِبها** (أو) **لا تستهلكها الصدقة** » . وفيه حثٌّ على ابتغاء الأرباح بتقليب المال فى تجارةٍ ونحوِها ، حتى لا تستهلك الزكاةُ هذه الأموالَ ، إذا بقيت كما هى بدون تثمير ، وفى هذا تأكيد أن فى مال اليتيم الزكاة الواجبة .

ويؤيد هذا كلَّه قولُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « اتَّجِرُوا فى مال اليتامى لا تأكلها الصدقة » . وإنَّ

رأىَ عمر ﷺ وقولَه هذا يقوِّى الحديثَ المرسل السابق ، وهو الحديث الذى يرويه التابعىُّ دون ذكرِ الصحابىِّ .

يقول المفتى : وقد اعتضد القولان وقويا بقول أكثر أهل العلم ، وبالقياس . بدليل : أن سُعاة النبى ﷺ الذين كانوا يُبعثون لأخذ الصدقات الواجبة - وهى الزكاة - كانوا ينظرون إلى المال نفسه وأحقِّيَّة الزكاة فيه ، ولا ينظرون إلى مَن الذى يملكه .

ثم قال المفتى بعد مقدِّماتٍ طويلةٍ : وهذا كلُّه وأمثاله يدل على : أن النَّظر فى الزكاة إلى المال الذى تَجب فيه الزكاة ، لا إلى المالِكِ - أى يستوى البالغُ وغير البالغ - وهذا يقتضى دخولَ الصبىِّ ؛ لأن مالَه فردٌ مِنْ أفرادِ الأموالِ .

فالزَّكاةُ تؤخَذُ وتُؤَدَّى من أموال المسلمين بالِغِينَ كانوا أو غير بالِغِينَ ، ولا تُؤخذ من غير المسلمين ،

فالزكاةُ واجبةٌ فى مالِ اليَتامَى ، والولىُّ مسؤول أمامَ اللَّهِ عن ذلك من كل ناحية .

وتلك خلاصةٌ مُوجزة جدًّا من جواب الفقيه البحر الإمام السُّبكىّ المُنوفىّ ، وفيها فى نظرى كفاية دون استطرادٍ للأقوالِ الأربعةِ الباقيةِ ، فالأدلَّة السابقة تهدمها ، واللَّه أعلم .

* * * *

وفتاويه رضى اللَّهُ عنه صدرت فى القرن الرابع عشر من الهجرة (القرن العشرين) من الميلاد فى مجلَّدين كبيرين ، يا حبَّذا لو حظيت بعناية الأزهر ودار الإفتاء ، والجهات العلمية المسؤولة عن الكنوز العلميَّة للأمة ، وأخرجوا منها ما ينفع النَّاس فالفتوى عنده بحر من الأدلَّة والأقيسة .

من حقوق الولد على والده

ومن أعظم حقوقه التربيةُ الحسَنةُ ، ومعرفة حقوق الربِّ ، مع حُسْن الأخلاق ومن الحقوق الواجبة للولد على الوالد : النَّفقةُ والكسوةُ فقد جاء فى الحديث : « كَفَى بالمرءِ إثمًا أن يُضيِّعَ مَن يَقوت » أو « مَنْ يَعُول » حتى إن المسلم إذا لم يكن لديه مقدارُ نفقة أولاده وأهله حتى يعودَ إليهم من رحلة الحج ، فإنه فى هذه الحالة يُعَدُّ غير مستطيع ، لأن نفقة الأولاد والأهل واجبةٌ على الفور ، وفريضة الحج على التَّراخِى حتى تتوافر الاستطاعة .

ومن حقوقه الواجبة : تدريبُه منذ السابعة على الطاعة وفى مقدِّمتها أن يسمع منه كلمة الشهادة : أشهد أن لآ إلهَ إلَّا اللَّه محمدٌ رسولُ اللَّه ، ويعلِّمه كيف يصلِّى على النبى محمدٍ صلَّى اللَّه عليه وعلى آله

وصحبه وسلَّم واللَّهُ عزَّ وجلَّ يقول لنا : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه : ١٣٢] أى لأهل التقوى العاقبة الحسَنة فى جنَّات النعيم .

فعلى ولىِّ الأمر أن يُدِّرب الصغير على الوضوء والطهارة للبدن بالاستنجاء ونحوه وطهارة الثوب ، كما يدرِّبه على الصلاة إذا بلغ سبع سنين ، وإذا بلغ عشر سنين وظهر عليه تكاسُل عنها ضربه ضربًا رمزيًّا تأديبيًّا وتوبيخيًّا لا يترك أثرًا على بَدَنه ، ولا يضربه ضربًا يؤدِّى إلى إيلامه .

كما يدرِّبه على الصوم حين يجد لديه طاقةً لأيام قليلة من رمضان ، تكثر هذه الأيام فى رمضان التالى حتى يكون الصوم أمرًا مألوفًا له عند بلوغه وإدراكه .

ومن أعظم ما يجده الوالد أو الولىُّ أو الجَدُّ فى

ميزان حسناته أن يموت وقد علَّم الولد القرآن وما ينفعه من العلم فى أداء العبادات ، مع الأخلاق الحميدة ، ومعرفة الحلال والحرام . وحقوق ربِّ العباد ، وحقوق الوالدين ، إن من يموت وقد فعل ذلك فله مثل أجرِ ولده وثوابه من غير أن ينقص من أجر ولده شيئًا .

إن الولد عطيَّةُ اللَّه ، وبه يكثر عددُ المسلمين وتنمو حياة الأمة بكثرة الأيدى المدرَّبة العاقلة المستقيمة ، ولذا فإن إحسان تربيته من ألزم الواجبات .

* * *

وَيَنْشَأُ ناشِئُ الْفِتْيانِ مِنَّا
عَلَى ما كانَ عَوَّدَهُ أَبُوهُ

أَذَكَرٌ هو أَمْ أُنثى ؟

بهجة القلوب بالمولود

ولا نقول : أَذَكَرٌ هو أمْ أُنثى ؟

إنَّ إطلالةَ وجه الطفل على الدنيا بهجةٌ للنفس ، وفرحةٌ للقلب ، وسرورٌ يستوجب الحمدَ للَّه على ما أَنْعَمَ ، نسأل لحظتَها : هل الأمُّ بخير ؟ هل المولودُ بخير يُناغى ويتحرَّك ؟ وفرحتُنا به ذكرًا كان أو أنثى تكون عظيمة وجليلة ؛ لأن الغاية من الزواج هى : إعفاف النفس وتكثير النسل ، وإن الحبيبَ المصطفى صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّم سيُباهى الأممَ يومَ القيامةِ بأُمَّته ، التى هى خيرُ أُمَّةٍ أخرجها اللَّهُ للناس .

وإنَّ الذَّكَر يحفظ اسمَ أبيه وأسرته فى أولاده وأحفاده من بعده ، وإن البنتَ هى السفيرُ اللَّطيفُ الأنيسُ المحبوبُ تنتقل باسمها واسم أبيها واسم أسرة أبيها إلى بيت جديد ، وأسرة كريمة فتزيد المحبة

والمودَّة ، ويكثر التعاطفُ والتراحمُ ، وعن طريق هذا السفير الرقيق يعظمُ التعاونُ بين الأُسَر المتعَدِّدة ، وتتشابكُ المصالحُ بين البيوتِ المختلفة ، سواء كان هذا السفيرُ الجميلُ فى بلدة الوالد أو فى غيرها فهى الشجرةُ المباركةُ عن طريقها تمتدُّ الغصونُ بثمراتها الحلوة ، فيصير لأولادها أخوالٌ وخالاتٌ ، ويصير للأخوال والخالات أولادُ أخوات ، وما أحْلى وأجملَ التراحُمَ الذى نلمسُه ونرى ثمراتِه المباركةَ بين أبناء الأخوال والخالات ، والأعمام والعمات ، وما أعظمَ ظهورَ نَسَب الأولاد فى كل الحالات إلى آبائهم ، فهذا النسب إلى الآباء هو الذى يحفظ لبنى الإنسان الوجه الصحيح ، وبتعاون العائلات والأسر بأداء كلِّ فردٍ دورَه تزدهر الحياة ، وتقوى الأمة ، ويعظمُ شأنُها .

إن الأصلاب بالزواج الشرعىّ السليم هى جُذورُ

الشجرة المباركة اليانعة ، وإن الأولاد ذكورًا وإناثًا هم الغصونُ تحملُ وجوهُهم وأسماؤهم أسماء الأصلاب ، حتى يوم لقاءِ ربِّ العالمين .

إنَّ الإسلام هو دينُ الرُّؤية الصحيحة المتَّفقة مع حقيقة الفِطرة الإنسانية السليمة ، وعلى منهج الإسلام تنمو حياة الأمم فى الطريق الصحيح ، ويكثر التعارُف ، وتتآلفُ الأسر ، ويتعاظم شأن القرابات بوجه صحيح سليم بالحرص على الزواج الشرعى السليم فالمسلمة يتزوجها مسلم مثلها ، والمسلم أينما كان يتزوَّج على الأساس الشرعى وأولاده يرتبطون باسمه واسم أسرته ، وهذه هى الحياة الإنسانية السليمة والصحيحة فى نور هداية الإسلام وتوجيهاته .

وفى الأُذن أول كلمة « اللَّه أكبر »

المولود بهجة وفرحة ، وحين ولدت فاطمةُ الزَّهراء الحسين رضى اللَّه عنه ، ملأ قلبَ جدِّه

صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّم سرورًا لهذه النِّعمة ، نعمة الولد ، فأقبل على حفيده وأذَّن فى أذنه ، كما جاء عند الترمذىِّ ، وفسَّر ذلك حديثُ الحسيْنِ رضى اللَّه عنه - كما جاء عند ابن السنى - فقال : قال رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّم : « مَن وُلِدَ له مولودٌ ، فأذَّن فى أُذنِه اليُمْنى ، وأقام فى أُذُنه اليُسْرى ، لم تضُرَّه أُمُّ الصبيان » أى صرف اللَّهُ عنه أذَى وشرِّ هذه الجنِّيةِ الخبيثة « أُمِّ الصبيان » .

فمن أشرف الأعمال ، والتعبير عن المحبَّة للمولود : أن يكونَ أولُ ما يدخلُ سَمْعَه عند قدومه إلى الدنيا توحيد اللَّه عزَّ وجلَّ ، وذلك هو آخر ما يسمعه عند خروجه من الدُّنيا حين يُلقِّنُه أحدُ الصالحين الشهادتين يذكِّره بهما ، ليكون آخر كلامه يؤكِّد سلامةَ إيمانه .

وممَّا ينبغى لنا أن نذكره ولا ننساه أن يقرأ صاحبُ

صوتٍ هادئ يجيد القراءة سورة « الإخلاص » فى أذنه اليُمنى ، فهى سورة التوحيد الذى هو ثلثُ القرآن ، فالقرآن العظيم : توحيدٌ ، وعبادات ، ومعاملات .

ومع سورة الإخلاص ، يقرأ الآية من سورة آل عمران تيمُّنًا بالصالحة النقيَّة أمّ مريمَ الطاهرةِ الزَّكيَّة : « إنِّى أُعيذها بك وذُرِّيتَها مِنَ الشيطانِ الرَّجيم » .

ولنذكر أنَّ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّم كان يُؤْتَىٰ إليه بالصبيان فيدعو لهم ويُحنِّكهم ، أى يمضغ التَّمر ويُدلِّك به حَنَكَه حتى يدخل شىء من الرِّيق الحلو إلى جوفه ، فإن لم يكن تمر فعَسلٌ ، يفعل ذلك ويقوم به أصْلَحُهم رجلًا كان أو امرأة .

ومن حقِّ الصغير :

واختيارُ الاسم الحسَنِ للابن أو الابنة من سنن الهادى الحبيب صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّم ووصاياه ، وتُستحبُّ التسميةُ يومَ السابع من ولادته وأفضل

الأسماء : عبد اللَّه وعبد الرحمن ، والإنسانُ منَّا سيُدعى يومَ القيامة باسمه واسم أبيه ، فأحسنوا الأسماء يشعر الولد بكرامته .

وإذا نزل الولد ميّتًا سمَّاه أهله ؛ لأن الولد سيطالِبُ وليَّه بذلك يوم القيامة إن لم يفعل يقول لأبيه : « أنت ضَيَّعتنى ولا اسم لى » . ومن الخطأ الفاحش أن يسمِّى الأهلُ الولد : بعبد فلان أو عبد علَّان ؛ لأنَّ العبودية للربِّ الواحد لا للأنبياء ولا للملائكة فكيف نترك عبد القادر ، وعبد الملك ، وعبد العزيز ، وأسماء الرسل مثل : محمد ، ويوسف ، وإبراهيم ، ونسمى بعبد فلان ، هذا لا يجوز ، ويمكن أن نقول : عبد ربِّ الرسول ، وعبد ربِّ النبيّ ونحو ذلك ، فلنذكُر هذا ولا نَغْفُلُ عنه .

ومن حق الصغير على أبيه وأهله الختان ؛ لأن عدم ختان الذكور تترتب عليه مفاسدُ ، فختان الذكر

واجبٌ ، وإهماله معصية وعند بعض أهل العلم من الكبائر ، بخلاف الأنثى فعَدَمُ الختان أولى فى حقِّها .

وعند انطلاق لسان الطفل يجب أن نُلَقِّنه ونسمع منه كلمة « اللَّهُ أكبر » وكلمة التوحيد : « لآ إِلَهَ إِلَّا اللَّه » ليكونَ ذلك أولَ حديثِه ، وينبغى لنا أن نسمع من أولادنا الصغار بين الحين والحين كلمة الشهادة ، والصلاةُ والسلامُ على رسول اللَّه .

العقيقة : وهى سُنَّة مُحَبَّبة لدينا - المسلمين - جميعًا ، تعبيرًا عن شكر النعمة ، والفرحة بالولد ، عن الذَّكَر شاتان أو شاة حسب القُدرة وعن الأنثى كذلك ، وبالشَّاة تتمُّ السُّنَّة ، وعند ذبحها ينوى الوليُّ بقلبه أنها عقيقة ، كما ينوى عند ذبح الأضحية بالأصالة أو بالوكالة ، ويسمِّى ويقول : « **اللَّهُمَّ لك وإليك عقيقة فلان** » .

وللتوأم عقيقتان ولا تُغنى شاةٌ واحدةٌ عنهما ،

وذبحها يوم سابعِه أو مضاعفات السابع ، ويأكل من العقيقة أهل البيت ويُهدون منها ، ويتصدَّقون ، والأفضل أن يكون ذلك مطبوخًا إذا أمكن .

ويستحبُّ حلقُ رأسه يوم سابعه ، وأن يُعطَّر رأسَه بطيب لا تضايق الصغيرَ رائحتُه ، ومن استطاع أن يزنَ شعر ولده ويتصدَّق بوزنه ذهبًا أو فضَّة كان أفضل ، على أن يكون الحلقُ بعد الذبح ، وفعلُ العقيقة أفضلُ من التصدُّق بثمنها عند الشافعيَّة .

وعلى الآباء والأهل أن يتابعوا تربية أولادِهم برفق وسعة صدر ، وأن يعلموهم القرآن وما تَيَسَّر من سيرة النبى صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّم ، مع التأكيد على محاسن الأخلاق وحبِّ العمل المثمر والتعاون .

ومن وصايا الإسلام : « حقُّ الولد على الوالد . أن يُحسِن اسمَه ، ويُعلِّمَه الكِتابَ (القرآن) إذا عقل ، ويُزوِّجَه إذا أدرَكَ » .

ولا يفوتنا التنبيه على القدوة الصالحة فى البيت : الأب والأم والأخ الكبير ونحوهم كالجدِّ والجدَّة والأخوات ، فهذا من أعظم الأمور تأثيرًا فى الغلام .

نفعنا اللَّه بالإسلام ووصاياه وأحكامه .

* * * *

وصيَّة نبويَّة : قال ﷺ : « لو أنَّ أحدَكم إذا أراد أنْ يأتِيَ أهلَه (زوجتَه) قال : بسم اللَّه اللَّهُمَّ جنِّبْنا الشَّيطان ، وجنِّبِ الشَّيطانَ ما رزقتنا ، فإنَّه إنْ يُقَدَّرْ بينهما ولدٌ فى ذلك ، لم يَضُرَّه الشَّيطان أبدًا » . [متفق عليه والراوى ابن عباس رضى اللَّه عنهما]

(لم يَضُرَّه الشَّيطان : أى لا يتسلَّط عليه بفضل اللَّه ولا يفتنُه عن دينه إلى الكفر ، وليس المراد نفى جميع الضرر باتفاق)

الفتنة شدائد وأهوال

من معجزاته صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّم فتدبَّرُوا :

حدَّث أبو هريرة رضى اللَّهُ عنه ، عن رسول اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْه وسَلَّم قال : « لا تقومُ السَّاعةُ حتى يقْتَتِلَ فِئتَان ، فيكون بينهما مَقْتلةٌ عظيمةٌ ، دعواهما واحدةٌ » . [أخرجه البخاريُّ]

وقد كان : فقد وقعت بعده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وسَلَّم فتنة بين فئتين : فئةٌ ناصرتْ عليَّ بن أبى طالب رضى اللَّهُ عنه ، وأخرى وقفت مع معاويةَ بن أبى سفيان رضى اللَّه عنه .

وكلُّ جماعة منها من أهل الإسلام ، فدعْواهما واحدةٌ ، وكلُّ جماعة تدَّعى الحقَّ لنفسها فى قيادة الأمة ولصالحها ، مع أنَّ عَلِيًّا كانت له بيعة من أهْلِ الحَلِّ والعَقْدِ بعد الخليفة الثالث عثمانَ بن عفَّان

رضى اللّه عنه ، وإن احترامَنا وتقديرَنا لجميع الصحابة واجبٌ مهما اختلفت وجهاتُ أنظارهم فى الأمور العامة .

وإنَّ مُخَالِفيه معذورون بسبب اجتهاداتهم الخاصَّة وما رأوْه من وجهة نظرهم ، أمَّا خطؤهم أو صوابُهم فيحاسبهم به علّامُ الغيوب ، وليس لنا إلّا احترامُ جميع أصحابِ رسولِ اللّهِ ﷺ وإن كانوا اختاروا الطريق الصَّعب ، ونحن ليس لنا إلّا أن نفوِّض هذا الأمرَ إلى اللّه سبحانه ، وندعو لجميع أصحاب رسولِ اللّه صَلَّى اللّهُ عليْه وسَلَّم ، فهم نَقلةُ القرآن العظيم والسُّنَّةِ النبويَّةِ المُطَهَّرةِ إلينا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم أجمعين ، ولنا فى ذلك عِبرة لنتَّقِى شَرَّ الفتن ، وتسودَ روحُ التَّفاهُمِ ، والتسامح ، وتبادُل وجهات النظر بين المسلمين وأئمة المسلمين .

وإن العصْمةَ إنما هى لرسول اللَّه ﷺ وإن كل من عدا الرسُل يجتهد : فيخطئ ويُصيب وإن الحسابَ فى مثل هذه الأمور لعلام الغيوب .

وستظل مواقع : الجَمل ، وصِفِّين ، والحرَّة ، ومقتل الخليفة الصالح عثمان رضى اللَّه عنه ، ومقتل الحسين رَضِى اللَّهُ عنه ، وغير ذلك من الحوادث المؤسفة والمُخَرِّبة ماثلة أمامَنا للعبرة والاعتبار ، وقد نبَّه عليها رسولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّم قبلَ وقوعِها فى حديث أسامة رَضِىَ اللَّهُ عنه قال : « إذْ أشرف النبىُّ صَلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّم على أطَم (تلٌ عالٍ) من آطام المدينة ، فقال : « هل تَرَوْنَ ما أَرَى ؟! إنى أرى مواقعَ الفِتَنِ خلالَ بُيوتكم كمواقع القَطْر » .

[أخرجه البخارى]

فسبحان مَن له كمالُ الحكمةِ وكمالُ الإرادة ، وله كلُّ صفات الكمالِ ونُعوتِ الجلالِ والجمال .

الأُبُوَّة والبنوَّة

إنَّ الأبَ والأمَّ هما الغُصنان اليانعان الحانيان على الولد ، فهو بهجةُ قلبيهما ، وسرورُ نفسيهما ، يريان فيه الأمل ، الذى يقوِّى العزم ، ويشحذ الهمَّة لبناء حياة أسرية سليمة ، تسكن فيها النفوسُ بالمحبَّة والرحمة .

وإنَّ رحمةَ الوالدِ بولده تدفعه إلى إحسان تربيته ، والقيام على جسمه ونفسه وعقله بما يحقق النموَّ فى الاتجاه الصحيح ويُنمِّى فى وجدانه وشعوره وقلبه نوازع الخير ، وحبَّ الحقِّ ، وكراهةَ الباطل ، والابتعادَ عن كل أسباب الشرِّ والفسادِ .

إنَّ الولد - الابن والبنت - إذا نشأ فى أسرة مترابطة ، وفى بيئة طيِّبة سالمة من عوامل السُّوء والانحراف ، وفى بيت يُعنى بالتربية السليمة ، وبتغذية النفس والقلب بالفضائل السامية ، وبالقيم الثابتة فى

نور هداية السماء ، وتوجيهاتِ دين اللَّه الحق ، إن الولد إذا نشأ هذه النشأة نفع نفسه ، ونفع الجماعة ، وكان عاملَ بناءٍ فى الطريق الصحيح ، وصار للخير مُحِبًّا ، وعليه مُعِينًا ، وللشرِّ مُبْغِضًا ، وله مُجْتَنِبًا ، ومن هنا كانت مسؤولية الوالد عظيمة ومحبوبة .

وإنَّ هذه المسؤولية الأبويَّة تقتضى القُدوة الحسنة ، فى المسالك والأخلاق ، لأن الولد حين ينمو عودُه ، وينظر فيما حوله يرى فى والديه المثلَ الأعلى ، فلا يتصوَّر عقلُه فى مراحل نموِّه الأولى أن يكونَ الوالدُ - الأب والأم - على شىء فيه شرٌّ وفساد ، فيشب مقلِّدًا ، فإن صحَّت المسالك ، واستقامت الأخلاق والعوائد ، وطاب المطعمُ والمشربُ والملبس ، سلمت الثمرةُ الجميلة ، وأطاعت الوالد عن محبة ورِضًى ، وإن النفس لتسعد بالولد الصالح الذى يُرجى خيْرُه ، ويُؤمن شَرُّه .

وإذا كان المُربِّى يوصى الولد ببرِّ الوالدِ وبحسنِ طاعتِه ، فإنه يُوصى الوالد بالرحمة بالولد بحسن تربيته ، وبالإنفاق عليه من الكسب الحلال الطيب ، ومراقبة اللَّه فيه ، والسعى فيما فيه صلاحُه وإعدادُه لحياةٍ طيبةٍ ، يُطيع فيها ربَّه ، ويقتدى برسوله صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّم .

آباء كرام قدوة لنا

أبونا وحبيبنا رسولُ اللَّه إبراهيم الخليل صلَّى اللَّه عليه وسلَّم أعطانا القدوة السليمة الحسنة فى الشوق إلى الولد الصالح ، وقد أجاب اللَّه دعاءه ، ورزقه ذرية طيبة ، هى قُرَّةُ العين ، وكان كل أمله فى وُلْدِه أن يعينه اللَّهُ على حسن تربيتهم . وأن يُثَبِّتَه وأولاده على دينه القيِّم ، وعلى طاعة خالقهم ، وفى دعاء حبيبنا إبراهيم الخليل تربية لنا وتعليم : ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة إبراهيم : ٤٠] .

فنحن نحب الولد ونرجوه ولكن ينبغى لنا أن نسعى فى حُسن تربيته ، وأن نستعين باللَّه : ندعوه ونرجوه أن يحقق أملنا فى أن تكون الذريَّة صالحة تعبد اللَّه وحده ، وتقيم الصلاة راجيةً رحمته ، فإذا صحت عقيدة الولد ، واستقام فى طاعته لربه ، قويت لديه دوافع الخير ، وراقب اللَّه فى سره وعلانيته ، فالصلاة تردع الإنسان الصالح عن ارتكاب الفواحش وعن عمل المنكرات .

وإنَّ الولدَ الصَّالِح يكون بارًّا عطوفًا ، يحبُّ الخيرَ للناس جميعًا .

لقد دعا إبراهيم لنفسه ثم دعا لذريته أن يكونوا حتى آخر العمر مطيعين للَّه ، ثم ألحَّ على اللَّه بالدعاء : ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ ، وإن اللَّه يحب الملحِّين فى الدعاء .

ومن ذريته رسولُ اللَّه إسماعيل صلَّى اللَّه عليه

وسلَّم جدُّ رسولنا محمد بن عبد اللَّه صَلَّى اللَّه عليه وسلَّم ، كان يربى أهله تربية صحيحة . تَسْلَمُ بها العقيدة ، وتستقيم النفس والجوارح ، وبهذا يكون الأهل مصدر سكينة وطمأنينة وحياة مستقرة : ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ . [مريم : ٥٥]

وإن سلامةَ العقيدة وصحَّتها أسمى ما نرجوه لأولادنا وإن الإسلام هو الطريق الصحيح لسعادة الإنسان فى الدنيا والآخرة ولذا أكد إبراهيم وحفيده يعقوب عليهما السلام الوصية للذرية بأن يشبوا ويثبتوا على الإسلام ومبادئه حتى يلقوا ربَّهم : ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة : ١٣٢] وتلك هى وصية إبراهيم لبنيه بوصية ربه له : ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [البقرة : ١٣١]

ولحرصه على سلامة أولاده من بعده أعاد يعقوب

الوصية لهم حين دنا أجله : ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة : ١٣٤] إنها الذرية التى تَسُرُّ القلبَ وتَصْلُحُ بها الحياةُ .

ماذا نريدُ لأولادِنا ؟

إن أولادنا - البنين والبنات - هم فلذات أكبادنا ، وهم بهجةُ القلوب ، وهم المفصحون عن معدن الدار التى نشأوا فيها ، والدَّوحة التى تربَّوا فى ظلالها ، وقطفوا من ثمارها .

إننا - الكبار - نريد لأولادنا أن يكونوا سُفراء يُعبِّرون بمسالكهم وطِيب أخلاقهم ، وكريم آدابهم عن سلامة البيت ، وحكمة الأب ، وشرفِ الأسرة ، وحُسْن رعايةِ الأمِّ .

إنَّ أولادنا هم أكبادُنا تمشى على الأرض ،

نحميهم من التلوُّثات بالأخلاق الرديئة ، ونصونهم من عوامل الشرِّ والفساد ، ونحيطهم بدأب ورحمة وحزم بالرعاية الواعية ، والتوجيه الرشيد بما يتناسب مع كل مرحلة من مراحل نموِّهم ، حتى يشبَّ الناشئُ سليمَ الفِطرة ، عفيف النَّفْس ، مُحبًّا للخير ، مبغضًا للشرِّ والسوء .

إننا نحبُّ لأولادنا : سلامةَ الأبدان ، واستقامة الفكر ، وصحةَ العقيدة ، والرغبة فى معالى الأمور ، والتحلِّى بالفضائل التى جاءنا بها الوحىُ من عند اللّٰه عزَّ وجلَّ ، مع القدرة على تكوين علاقات طيبة وسليمة مع المحيطين به .

إن أولادنا أمانةٌ عظيمةٌ ، ونحن - الكبارَ - مسؤولون عنها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلَّا من أتى اللّٰه بقلب طاهر سليم .

لذا : ينبغى للكبار أن يكونوا قُدوة فى طريق الخير

والحق والاستقامة على طريق الإسلام وفضائله السامية الثابتة التى هى قِوامُ الحياة الراقية العظيمة فى كل زمان وفى كل مكان ، وإذا تحقَّق للناشئة القدوة العملية الطاهرة المنضبطة على الصراط المستقيم ، مع حُسن الرعاية والتوجيه السليم ، فإن الناشئَ يشبُّ وهو : مُحِبٌّ للفضيلة مبغض للفاحشة والرذيلة ، ويشبُّ أمينًا صدوقًا طاهرَ اللِّسان ، حَسَنَ العِشرة ، يكره الحرام ويبتعد عنه ، يكفُّ جوارحَه عن الأذى والسوء ، يضع نور القرآن والسُّنَّة النبويَّة أمام قلبه وعينيه .

إنَّ الناشئَ الذى نربِّيه تربية سليمة ، ونصونه عن عوامل الشرِّ والفساد ، ويشبُّ على طاعة اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، والاقتداء برسوله صلَّى اللَّهُ عليْه وسَلَّم ، هذا الناشِئُ ينفع نفسه ، وينفع أسرته ، وينفع أُمَّته ، ويكون شرفًا لأبويه وأسرته .

* * * *

مِن رحمةِ الإسلامِ بِمَجْهُولِى النَّسَبِ :
لا انْتِسابَ إِلَّا للصُّلْبِ الشَّرْعِىّ :

ونقصد هنا بمجهول النسب : الطفل غير البالغ الذى يوجد فى الطريق ولا يعرف لاقِطُه نَسَبَه ولا إلى أىِّ أب ينتمى ، هذا الطفل أوصانا الإسلامُ بحمايته وبَذْلِ الرعاية الواجبة ليشبَّ سليم العقل صحيحَ البدن ، مطمئنَّ القلب ، ساكنَ النفس .

لقد أوجب الإسلام حمايةَ اللَّقيط من عوامل الدمار البدنىِّ والنفسىِّ والعقلىِّ والخُلقى - بضم الخاء - وجعل أَخْذَه للرعاية من فروض الكفاية ، ويكون مسلمًا بحكم وجوده فى بلاد المسلمين .

وإذا طلب الذى وجده أن يأخذَه لرعايته وتربيته وحمايته فهو الأَوْلى بأخذه ، ولكن بشروط تقتضيها سلامةُ الطفل ، وتحقيقُ الأمن له ، بحيث يتوافرُ فى

الذى يأخذه : أن يكون إنسانًا حُرًا رشيدًا مشهودًا له بالأمانة ورعايةِ الحقوق ، بحيث يجد هذا الطفلُ البرىء مناخًا آمنًا يترعرع فيه فى جوِّ الرحمة والرفق والتربية السليمة .

استضافة اللَّقيط :

والذى يقبل اللَّقيط فى ضيافته عليه أن يعلم : أن اللَّقِيط ضيفٌ عنده مهما طال زمنٌ بقائه لديه يُطعمه مِمَّا يُطعم نفسَه وأهله ، ويكسوه كذلك ، ويربِّيه ويعلِّمه كما يتعلَّم أولاده ، ولكن اللَّقيط لا يحمل اسمَ مُلتقطه ولا مُربِّيه ، ولا يتوارثان ، فلا يرث اللَّقيطُ من تركة مُربِّيه ؛ وإذا ظهر لِلَّقيط مالٌ على نحوٍ مَّا ولو بالتبرُّع له فإن مربِّيه لا يرثه ، إن مات اللَّقيط فى حياته ، فهو ليس ابنه ، وليس من صُلبه ، وإنما هى بنوةُ حنانٍ وعطفٍ ورحمةٍ ورعايةٍ فحسب ، يُرْجى بها ثوابُ اللَّه عزَّ وجلَّ .

ولذا فإن آخِذَه يقوم بالإنفاق عليه من ماله ، فإذا وجدوا مع لقيط مالًا أنفق منه بحساب دقيق على هذا اللَّقيط ، ويمكن فى حال إعسار المربِّى أن يطلب من الجهة الحكوميَّة ذاتِ العلاقة إمدادَه بما يفى بحاجة اللَّقيط ، ويمكن أيضًا أن يسخو أهلُ الفضل بالمال لعون مربِّيه وحاضنه ما دام غير قادر على الوفاء بحاجات الطفل .

إن الإسلام يوجب على الدولة حمايةَ اللُّقطاء برعايتهم وتربيتهم وتأهيلهم لمواجهة الحياة ، وتمكينهم من اكتساب الخبراتِ اللازمة والقيم الفاضلة ، وحمايتهم من الضياع أو الوقوع فى أيدى المجرمين الذين لا يرحمون .

ولكن الحاضنَ والمربِّىَ لا يجوز له أن يرثَ من مال الطفل ، كما لا يجوز أن يحمل الطفلُ اسم مربِّيه ولا أن يرثه ، وإذا مات اللَّقيط وله مالٌ ، وليس له

وارثٌ شرعيٌّ فإن مصير أمواله إلى بيت المال وخزانة الدولة . **وهذا حُكْمٌ مُهِمٌّ وهو** : إذا تقدَّم بالغٌ عاقلٌ يؤكِّد أن اللَّقيط ولدُه ومن صُلبه ، ولوحظ أن وجود هذا الطفل من هذا الرجل ممكنًا ، فإنه فى هذه الحالة يتمُّ إلحاقُ اللَّقيط به ، وحينئذ يثبتُ نسبُه وإرثُه وجميع حقوق الأبوة والبنوة ، وذلك بخلاف ولد الزنا فإنه يرث أمَّه وترثه أمُّه وقرابتُها ، ولا تَوارُثَ بينه وبين مَن يَدَّعِى أنَّه أبوه وذلك . . بإجماع أهلِ العلم ، لانتفاءِ النسب الشرعى ، وهو النَّسبُ الذى يقضى : بالانتساب إلى أبوين بزواج شرعىٍّ ثابتٍ بينهما ، وهو الزواجُ القائمُ بينهما بشروطه وأركانه الشرعيَّة .

* * * *

التكوين السليم للأسرة

إن الولد الصالح نعمة ورحمة ، وبهجة لقلَبَىْ والِدَيْهِ ، وعمل صالح لأمته .

إن النسل يأتى جزءًا مُتَمِّمًا لنفسين كريمين جمعت بينهما شريعةُ الزواج بمقتضى حكم اللَّه عزَّ وجلَّ ، ويحمل النسلُ اسمَ الأب انتماءً للأصْلاب التى بها تتَّضح معالمُ الأنساب ، وتتوثَّق بها أركان الأسرة ، وتنمو الجماعة على نحوٍ مترابط تتوثق فيه العلاقاتُ الاجتماعية جيلًا بعد جيل ، على نحوٍ واضحِ المعالم يحفظ للأمَّة شخصيتها المتميِّزة ، بحيث تتجه الأجيال الوجهة الصالحة اللَّائقة بالإنسان ومكانته فى هذا الكون .

ذلك أن الانتماء إلى الأصلاب فى إطار الزواج الشرعى الذى يجمع بين الذكر والأنثى فى نطاق

الحدود والقواعد الشرعية التى وضحتها أحكام الشريعة ، هذا الانتماء السليم يَتَّفق مع فطرة الإنسان النقيَّة السليمة ، ويعطى الناشئةَ ملامحها الحقيقية ، ويبعث على الترابط والتمازج بين الأقارب والأرحام ، ويعود على الأمة بتعاون الأسر بأطيب الثمرات ، مع الطهارة من التلوُّثات الخبيثة التى تتأتَّى من فوضى الأنساب الشائعة فى البلاد التى رضيت بالإلحاد ، واتَّخذت سبيل الشيطان سبيلًا .

الْفَوْضَى باسْمِ الْحُرِّيَّةِ دَمارٌ وضَياعٌ :

إن الفوضى فى العلاقات بين الجنسين تؤدى إلى تدمير البناء الاجتماعى للأمة مع مرور الأيام ، وإن الجيل أو الأجيال التى تنشأ عن هذا الغرس السيِّئ يُشعر هذه الأجيالَ بالضَّياع وضعف النفس ، إذ لا توجد أبوةٌ حقيقية ولا أسرة شرعيَّة على قواعد سليمة .

التبنِّى كذبٌ وزورٌ ولا يجوز :

ويوازى هذا فى سوئه الكذبُ فى الأنساب والافتراء فيها بانتساب إنسان إلى غير أبيه ، فإن ذلك عواقبُه وخيمةٌ فى الدنيا والآخرة : وفى الحديث المتفق عليه من رواية سعد بن أبى وقاص : « **من ادَّعى إلى غير أبيه وهو يَعْلَم أنه غير أبيه فالجنَّةُ عليه حرام** » . ومن رواية أبى هريرة : « **لا ترغبوا عن آبائكم فمَن رَغِبَ عن أبيه فهو كُفر** » . وفى رواية أبى ذرٍّ : « **ليس من رجل ادَّعى لغير أبيه وهو يعلمه إلَّا كفرَ** » .

إن الانتماء إلى غير الأب الشرعىِّ أو من زواج غير شرعىٍّ : يعتبر كذبًا وافتراءً ، ويؤدِّى التبنِّى على هذا النحو إلى فشل الأمة وضياع معالم الشخصية . ويكفى الأمةَ تبصيرًا بشرف طهارة الأنساب للأصلاب الحقيقية فى نطاق الزواج الشرعىِّ ، قولُ الرسول صلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّم من رواية علىٍّ بن أبى طالب :

« خرجتُ من نكاح ولم أخرج من سِفَاح من لدُن آدمَ إلى أن ولدتْنى أُمِّى » .

سلام اللَّه وبركاته وصلواتُه على أرحم إنسان ، وأعظم إنسان رسم للإنسانية الطريق العمليّ والنفسيّ والأخلاقيّ الذى فيه الاسقرار والكرامة والمحبة والحرية والعدالة .

صحَّة النَّسب وشرفُ التَّقوى

إن تكوين الأسرة السليمة يكون من ذكر وأنثى بعقد شرعى متوفِّرةٍ فيه الشروط التى قررتها الشريعة السمحة من حيث : خلوُّ كلٍّ واحد من الطرفين من الموانع الشرعية ، ووجود الشهود والإشهار والإيجاب والقبول ، وذلك مع ما يتَّصل بالوليّ ، وبطريقة استئذان البِكر والثيِّب ، والمهر وغير ذلك مما تمَّ توضيحه فى الشريعة السمحة .

إن هذا التكوين السليم للأسرة هو الأساس الملائم لفطرة الإنسان ، وهو العماد القوى الذى لا غنى عنه لبناء الأمة التى تتَّضح فيها الأنساب ، ويتمتَّع الفرد فيها بالانتماء العاطفىِّ الوجدانىِّ والحقيقىِّ إلى أصلاب آبائه فى ترابُط وتعاطف وتراحُم مع سائر أسرته ، وفى ظلال الأسرة تتأكَّد المحبةُ وقوةُ الرابطة مِمَّا ينبع من القلب ولُحْمَةِ الدم فيتحقق برُّ الوالدين ، وحسن تربية الولد ، والمواساة بين الأهل والأرحام بدافع نفسىِّ طبَعِىِّ .

إن وضوحَ الأعراق وشرفَ الانتساب إلى الأصلاب إذا تحقق معه كرمُ النفس ، وحسنُ الخُلق ، وطاعةُ الرب ، والإقبالُ على الحلال الطيِّب ، واجتنابُ الفواحش والحرام ، كان ذلك من أعظم التِّيجان على رؤوس الأفراد ، ومن أشرف المزايا فى مكانة الفرد .

وقد سألوا رسول اللَّه صلَّى اللَّهُ عليْه وسَلَّم فيما رواه أبو هريرة وجاء فى الصحيحين : « يا رسول اللَّه ، أيُّ الناسِ أكرم؟ قال : « أكرمهم عند اللَّه أتقاهم » أى إذا التقى مع النسب شرفُ الفضيلة والخوف من اللَّه والصلاح .

فقالوا : « ليس عن هذا نسألك؟ قال : « فأكرمُ الناس يوسف نبيُّ اللَّه ، ابن نبيِّ اللَّه (يعقوب) ابن نبيِّ اللَّه (إسحاق) ابن خليل اللَّه « إبراهيم » فتأمَّل شرف وضوح النسب مع شرف الطهارة والتقوى؟ قالوا : « ليس عن هذا نسألك؟ قال : « فعن معادن العرب تسألونى قالوا : نعم ، قال : « فخيارُكم فى الجاهلية خيارُكم فى الإسلام إذا فقُهوا » .

وانظُر تشبيه القبائل والأسر بالمعادن ، فكما تتفاوت المعادن (من ذهب وفضة ونحاس وغالٍ ورخيص وهكذا) فإن الأسر والقبائل تتفاوت فى

المكانة بما يكون لها من قدر فى المكارم وفضائل الأعمال وحسن تربية الأولاد ورعايتهم ليشبُّوا نافعين بَنَّائين غير هدّامين ، وحقًّا «إنَّ أكرمكم عند اللَّه أتقاكم» وشاعرنا الحكيم يَقُولُ لنا جميعًا :

كُنِ ابْنَ مَنْ شِئْتَ واكْتَسِبَ أَدَبًا
يُغْنِيكَ مَحْمُودُه عَنِ النَّسَبِ

أى إن مكارمَ الأخلاقِ ومحاسِنَ الآدابِ مع شرفِ العمل وصحَّته يُغنى الفردَ عن الدلالة على شرفه بالنَّسَبِ وحده ، ذلك أن شرف النسب وحده دون صِحَّة العقيدة ، وصِدْقِ الاتِّباعِ لرسول اللَّه صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّم مع الأخلاقِ الفاضلة لا يُغنى صاحبه يوم القيامة ، ولا يُعْطيه قيمة لها وزنٌ فى الدنيا ، وإنما لك ما قدَّمت من عملٍ صالحٍ ونية صادقة وفضيلة .

العدْل فى الهِبَة للأولاد

نحن نريد دومًا عائلةً متحابَّةً مترابطة يرحم بعضهم بعضًا ، ويتحقَّق ذلك بالتَّربية السليمة الرشيدة للأولاد ، وبتراحُم الوالدين ، وبعَدْلِ الأب فى توزيع الابتسامة والكلمة الطيبة والإرشاد السَّديد لجميع الأولاد ، دون إشعارهم بتفرقة ، ولو كان فى قلبه شىءٌ زائد لأحدهم فليكن خفيًّا لا يظهر فى تخصيصه بهدية أو عطيَّةٍ أو معاملةٍ أفضلَ أو بثناءٍ أمام الأولاد ونحو ذلك .

قصَّة لنا فيها عبرة وأحكام :

بشير بن سعد الصحابى الجليل كان له ولدٌ اسمه « النُّعمان » من زوجة صالحة بإذن اللَّه اسمها « عَمْرَةَ بنت رواحة » و« عمرة » بفتح العين وسكون الميم .

وبدافعٍ خاصٍّ منح الوالد بشيرُ بنُ سعد ابنَه الصغير

(عطيّةً) خصَّه بها دون سائر إخوانه الذكور وأخواته البنات ، فَتلجلج ذلك فى صدرها ولم يطمئنَّ قلبها إلى صحة هذه الهبة من الوالد لواحدٍ من أولاده يخصُّه بها .

ولذا قالت الأمُّ : « لا أرْضَى - لولدى النعمان - حتى تُشْهِدَ رسولَ اللّهِ صلَّى اللّهُ عليْه وسلَّم » أى إعلام الرسول بالعطيَّة ليشهدَ لهم على صحتها إن كانت صحيحة ؟

ذهب بشير ومعه ولده الصغيرُ النعمان ليخبر رسولَ اللّه صلَّى اللّهُ عليْه وسلَّم بما نواه ، فلمَّا سمع من بشير قصة عطيته لولده ، قال له : « **أَكُلَّ ولدك نحلتَه مثل هذا ؟** » **سأله : هل أعطيتَ كلَّ واحد من أولادك مثلَ ما نويتَ إعطاءه لولدك هذا ؟**

فقال البشير : « لا لم أمنح هذه العطية إلَّا لولدى

النعمان ، فقال الرسول صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّم « **فاتَّقوا اللَّهَ واعْدِلُوا بينَ أولادِكُمْ** » . أمرنا بمراقبة اللَّه عزَّ وجلَّ فى معاملة أولادنا والعدل بينهم ، ولو كانوا من أمٍّ واحدة أو أمهات متعددات ، ولذا وصف صلَّى اللَّه عليه وسلَّم هذا العمل بالظلم ، فقال : « **فلا تُشهدنى إذًا ؛ فإنى لا أشهد على جَوْرٍ (ظلم)** » وفى رواية جابر : « **فليس يصحُّ هذا وإنى لا أشهد إلَّا على حقٍّ** » وعند مسلم فى رواية للشعبىِّ : « **اعْدِلوا بين أولادكم فى النِّحَلِ كما تُحبون أن يَعْدِلُوا بينكم فى الْبِرِّ** » أى احتفظوا لأنفسكم بمحبة الأولاد وبِرِّهم وطاعتهم بمراعاة العدل بينهم .

فماذا نأخذ من هذا ؟ : علينا أن نحافظ على رعاية الأولاد وحسن تربيتهم والابتعاد عن كل ما يُوقع البغضاء بينهم ، كما دلَّ الحديث على أن الإمام

(والقاضى) يردُّ الهبة والوصية من الشخص الذى يثبتُ عليه أنه يريد الهروبَ من بعض الورثة .

إن كل تفضيل فى العطية بين الأولاد بدون سبب شرعىٍّ وإقناع للورثة يكون حرامًا ووبالًا ، أو باطلًا فى تحقيق أهل العلم ، وهو حرام على كل حال ، إلَّا بسبب شرعىٍّ يتَّفق مع قواعد الشريعة كأن يكون أحد الأولاد مريضًا أو به عجز ، وله أولاد صغار واقتناع بقية أفراد الأسرة ، وإن اقتناع أمِّ الطفل الذى يكون صغيرًا أمر مُهِمٌّ وذلك بالنسبة للحالات الخاصة للأولاد كالمَرْضَى أو الضعفاء لأمرٍ مَّا ، واللَّه أعلم .

* * * *

﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

[النساء: ١١]

اليتيم حبيب الجميع

إن اليتيم حبيبُ الرحمن ، فمن رَحِمَهُ من أهل الإيمان رحمه اللَّه ، وإن أَحَبَّ البيوتِ إلى اللَّه هو البيتُ الذى يأوى يتيمًا ، ويُكرمه ، ويقوم بالرعاية على نفسه ، وعقله ، وبدنه ، يربِّيه على صحة العقيدة ، وسلامة الإيمان ، ومحبةِ اللَّه ورسوله يبتغى بذلك مرضاةَ ربِّ العالمين .

وقد أوحى اللَّه إلى يعقوبَ عليه السلام فيما رواه أنس وأخرجه الحاكم وغيره : « **إنى لم أُحِبَّ شيئًا من خلقى حبِّى اليتامى والمساكين** » .

وفى الحديث الذى رواه ابن عمر وأخرجه الطبرانى والأصبهانى : « **إن أحبَّ البيوتِ إلى اللَّه بيت فيه يتيم مُكرم** » سواء كان هذا البيت من أهل اليتيم كأعمامه ، وأخواله ونحوهم ، أو كان أجنبيًّا من حيث النسب عن اليتيم ، وتَبَرَّع أهلُ هذا البيت

بكفالة اليتيم ورعايته ، وفى رواية أبى هريرة كما عند البخارى ومسلم : « **خيرُ بيتٍ فى المسلمين بيتٌ فيه يتيم يُحسنُ إليه ، وشرُّ بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يُساء إليه ، وأنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين** » وأشار صلَّى اللَّه عليه وسلَّم بأصبعيه السَّبابة والوسطى تصويرًا لقُرب منزلة المؤمن الذى يُحسن القيام على نفس اليتيم وعلى أمواله ، ويعامله كمعاملة أولاده ، ويُحسن إليه فى مَطعمه ومَشربه ومَلبسه ، وفى مكان نومه ، وفى النفقات اللَّازمة لتعليمه وإكسابه الخبرات والمهارات اللَّازمة والملائمة له ليشقَّ طريقه فيما بعد معتمدًا على اللَّه ثم على جهوده ونفسه ، كما يبذل الجهدَ فى إكسابه الأخلاق الفاضلة ، وتعويده منذ صغره على طاعة اللَّه عزَّ وجلَّ وأداء فرائضه ، والقيام بالواجبات على أفضل وجه ، وعلى محبة اللَّه ومحبة رسول اللَّه صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم وحُسْن الاقتداء به .

إن اليتيم فى البيت الهادئ الكريم لا يستطيع الزائرُ أن يُفرِّق بينه وبين أبناء البيت وأولاد الكفيل ، إذ يرى مظهره كمظهر الآخرين فى ملابسه وحذائه وحُسن هندامه ، كما يراه على مائدتهم يأكل معهم ، ويلعب مع نظرائه منهم ، والجميعُ يعامله معاملة طبيعية كما يعامل الأخُ أخاه والأبُ ابنه والعمُّ ابن أخيه ، وترعاه الأمُّ كما تَرعى أولادها ، وفى مثل هذا البيت نجد اليتيم ساكنَ النفس مطمئنَّ القلب مقبلًا على أموره على النحو المقدَّر له ، وبما يناسب مرحلة نموه ، يجد التربيةَ والتأديبَ بحَزْم ورحمة ورِفق كسائر الأولاد فى البيت ، ويجد اليتيمُ الصيانةَ عن رفقاء السوء ، والحماية من المزالق ، وما قعد يتيم على مائدة أهل بيت فيقرُبَ منها شيطان .

إن وجودَ اليتيم فى البيت وحسنَ رعايته لمن أسباب البركة فى الدنيا والرحمة فى الآخرة .

برنامج غذائى لصحةٍ أفضل وسلامة أعظم

إذا لزمتَ هذا البرنامج فإن الجسم يكتسب حيويَّةً ، والذِّهْنَ يصفو مع التخلُّص من الاضطرابات المعويَّة الناشئة من سوء الهضم وغيره ، هذا إلى جانب خِفَّة الحركة والوقاية أو التخفيف من مرض السكر وغير ذلك من الفوائد الصحية والنفسية التى تترتب على التزام النظام التَّالى فى طعامك وشرابك ، وبه يزول الصداع ، وتنتهى مشاكل الترهُّل :

أولًا : تبدأ صباحك مدى حياتك بشرب الماء غير المثلج ، يلى ذلك شُربُ كوبٍ من العصير الطازج تتناوله على جرعات وليس دفعة واحدة أو تمصُّ البرتقال أو الجريب فروت ثم تأكل شيئًا من الفاكهة الطازجة (مع احتراس مرضى السكر من التمر والتين والعنب والمانجو والموز) وهذا هو فطورك اليومى

مدى حياتك لا تخلط مع الفاكهة شيئًا أبدًا ، ويمكنك بعد نصف ساعة أو أكثر الاستجابة للشعور بالجوع بأكل ما تراه من الخضر كالخيار والخسّ والقثّاء لملء المعدة ، ويمكن ذلك مع الفول أو نحوه كالجُبن والعدس والبطاطس ، أمَّا الخبزُ الأبيضُ فلا يؤكل معه الجبن ولا البيض ولا الحليب ونحو ذلك من البروتينات ، أى نراعى عدم الجَمْعِ بين النّشا والبروتين ، (ونراعى دومًا أن الفاكهة طعام مستقل) .

ثانيًا : فى الغداء والعشاء لا تخلط بين البروتين والنشا ، فإن أكلت سمكًا أو لحمًا أو جبنة ولبنًا وبيضًا تناولت معه الخضر الطازجة والمطهوَّة ، وإن أكلتَ خبزًا وأرزًا أو مكرونة أكلتَ معه الخضر طازجة ومطهوَّة ، تستبعد فى الحالة الأولى النشويات وفى الأخرى البروتينات استبعادًا تامًّا ، مع الحرص على الخبز الأسمر (السنّ والردّة) إذا أمكن ، والبُعد عن الدقيقِ الأبيضِ .

ثالثًا : التقليل جدًا جدًا من استخدام الملح الأبيض الناعم والسكر وخبز الدقيق الأبيض .

رابعًا : نتحاشى جميع أصناف الحلوى مع إمكان تناول شىء من الحلاوة الطحينية عند الرغبة فى أكل شىء من الحلوى ، ومرضى الترهُّل والسكَّر يمتنعون عن السمن والزيوت بقدر الإمكان .

خامسًا : ومن الممنوعات : جميع المشروبات والمطعومات المعبَّأة والمحفوظة مهما كانت جودتها ، ومنها المياه الغازية والسمن المحفوظ وغيرهما ، مع الابتعاد تمامًا عن الخمور ومنها البيرة والمواد الكحولية وعدم تعاطى السجاير والمخدرات بجميع أنواعها فإن كل ذلك سموم عظيمة الضرر .

سادسًا : الفاكهة طعام مستقل تؤكل قبل الوجبة بنحو نصف ساعة أو بعدها بخمس ساعات وحذار من الخلط بين الفاكهة والخضر فى أكلة واحدة معًا .

سابعًا : إنَّ شُرْبَ الماء يتم قبل الطعام أو بعده بساعتين مع عدم النوم بعد الطعام حتى تمضى ساعتان على الأقل وتسمى اللَّه قبل الطعام والشراب وتحمده بعدهما .

ثامنًا : نخصص يومًا فى الأسبوع - إذا أمكن - لأكل الفاكهة فقط طوال اليوم مع عدم تناول شىء آخر .

تاسعًا : إنَّ تناول الشاى ونحوه يكون بعد الطعام بساعتين ، وعلينا أن نجرِّب ما سبق ستة أشهر على الأقل ، وبذلك نعيش سعداء مع التخلص أو التخفيف من الترهل والروماتيزم والإمساك والإسهال ، ونحو ذلك بإذن اللَّه .

* * * *

﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾

[سورة الأعراف]

الشيخ الكبير وإلانة القلوب

﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾

هذه العبارة الكريمةُ جاءت فى سياق قصَّة رحلة موسى بن عمران عليه السلام إلى مَدْين ، عند خروجه من مصر لأوَّل مرَّة ، وهو شابٌّ ابن الثلاثين من عمره الشَّريف .

وقد كان خروجُ موسى بناءً على نصيحة رجل صالح من آل فرعون قائلًا له : ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [القصص : ٢٠] .

بل صحَبِه إلى أطراف المدينة ، وأشار إلى الطريق الذى يمضى فيه موسى متوكِّلًا على اللَّه ، وقد أفضى به المسيرُ إلى أرض مدْينَ بالشام .

إن موسى كان معزَّزًا مُكَرَّمًا فى مصر ، وكان المصريون يلقبونه (بابن فرعون) ولكنه كان يتألَّم من

الوضع العامِّ لقومه بنى إسرائيلَ ؛ إذْ كانوا يعملون فى المهن الشاقَّة ، ومنها جمعُ الحطب أو حمْله لحاجة مطابخ قصر فرعون .

وفى موقف من هذه المواقف بين مصرىٌ وإسرائيلىٍّ مطلوبٍ منه أن يحمل حُزمة من الحطب ، مرَّ موسى عليه السلام ، واستغاث به الإسرائيلىُّ ، وبعد حوار قصير دفع موسى الرجلَ المصرىَّ بقبضة يده فخَرَّ ميِّتًا . وهو الضربُ الذى أفْضَى إلى موتٍ ، ولم يقصد موسى سوى الزَّجر .

انطلق موسى فى مَسِيرِه يَهديه ربُّه إلى أن وصَل مُنْهَكًا مُرْهقًا إلى أرض مدين ، ولا مالَ ، ولا زادَ ، ووجد راحتَه فى ظلِّ شجرةٍ فى منطقةٍ يَرِدُ إليها الرُّعاة لسَقْيِ مواشِيهِم ؛ الإبل والبقر وغير ذلك .

وكان عظيم النَّفْسِ ، قوىَّ الإيمان : ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [سورة القصص : ٢٤] .

البئر والمشهد :

لقد رأى موسى عليه السلام مشهدًا عظيمًا ، حول البئر ، فيه حركةٌ وفيه أصواتٌ ، أو تزاحُم جمعٍ غفيرٍ ، ولكنه رأى فتاتيْن تنزوِيان خلف هذا الجمع ، ويدفعان إبلهما بعيدًا عن مجال التزاحُم ، فرَقَّ قلْبُه للمشهد ، ثم سعى إليهما ، وسألهما عن السرِّ فى ابتعادهما بالإبل عن البئر ، فأجابت الفتاتان الكريمتان ، نحن ننتظر حتى ينتهى الرعاة عن السُّقيا ويخلو البئر لنا : ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ .

إن هذه العبارةَ أثارتْ مزيدًا من الإشفاق والتقدير للفتاتين الكريمتين ، وقدَّمت العبارةُ معانِىَ كثيرةً ، ودلالاتٍ وإيحاءاتٍ متعدِّدةً ومؤثِّرة ، فمن كلمات ثلاث ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ فى سياق الموقف نعلم ونرى : أنهما لا أخَ لهما يقوم بهذه المهمَّة ، وأن الشيخ الكبير يجب إتاحةُ الفرصة له ليجدَ الراحةَ بعد

عناءِ العمر وهو قويٌّ مُكتسبٌ يضرب الأرض بقدميه ، ويسعى لإسعاد أهله ، والمشاركة فى بناء وطنه .

ونشعر نحن جميعًا من هذه العبارة : ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ بصدق المحبَّة وحسن التربية وقوَّة الشفقة ، والتوقير وأدب الاحترامِ للشيخوخة ، كما تعطى هذه العبارة إشعاعاتٍ متبادلةً بين حقوق الشيخوخة واحترامها والإخلاص فى خدمة الشيخ ، يقترن هذا الإشعاع بأدب الفتوَّة المتمثِّل فى خروج الفتاتين الكريمتين لإنجاز هذا العمل وتحمُّل مشاقِّه .

لقد كان وقْعُ العبارة على نفس موسى عظيمًا ومؤثِّرًا فقام بالعمل عن رضًى ورغبةٍ ، ونَسِىَ ما هو فيه مِن التَّعَب والشعورِ بالجوعِ ، وبالرغبةِ الشديدةِ فى الراحة تحت الشجرة ، إنها العواطف الشريفة الصادرة عن المحبَّة لكل ما هو نبيل ونافع .

إن الطاعة للشيخ الكبير والسعى فى توفير أسباب

الأمن لنفسه والطمأنينة لقلبه ، لَمِنْ أعظمِ خِصالِ ذَوى النفوسِ الطيِّبة والتربية السليمة ، والأذواق الرفيعة .

وإن تأثير هذا الموقف لَينتقلُ إلى مواقفَ أُخرى مشابهة فى كل مجالات حياة الإنسان .

إن الشيخ الكبير أُمَّةٌ وَحْده ، يَلْقَىٰ عنايةَ الجميعِ ، وحُسْنَ الأدَبِ مِنَ الجميعِ ، والعونَ على أسبابِ الحياةِ الآمِنَةِ مِنَ الجَميع .

إن تكدير الشيخ الكبير لَمِنْ أفْظع أعمالِ أهلِ الشرِّ والسوءِ ، وإنَّ إهمالَ شأنِه ليُعدُّ إساءةً كبيرةً للأخلاق والقيمِ .

ومع إخوة يوسف :

لقد احْتَجَزَ يوسفُ عليه السلام - وهو وزير ماليَّة مصر ، وراعى تموينها واقتصادِها - أخاه بنيامِين دون إخوتِه ، فكانَ وقْعُ ذلك على نفوس إخوانه العشرةِ

قاسيًا عنيفًا ، أضاعُوا يُوسفَ ، ثم هم هؤلاء يَضِيع منهم أخوه الشقيق ، والسؤال هنا مكتوب بالألم الشديد : كيف نواجه الشيخ الكبير ؟

ماذا سيكون وقعُ ذلك على قلب الشَّيخ الكبير ؟

لقد توَسَّلُوا إلى المسؤولين فى مصر لإخلاء سبيل بنيامين باستعطاف القلوب ، واستمالةِ النفوسِ ، لِترحم الشيخ الكبير : ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا﴾ أى وبنيامين أصغرُنا ، بل هو أمانةٌ فى أعناقنا ، ولذا قالوا : ﴿فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ﴾ فعَلُوا ذلك خوفًا من تراكُم الهُموم على الشيخ الكبير : ﴿إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا﴾ فأعْطُوه لنا لنعيده إلى أبيه ، إنهم يُعبِّرون عن قصَّة طويلة لهم ، تعيش فى قلوبهم وتُؤرِّق مضاجعَهم ، ويعبِّرون بذلك عن دفائنَ فى نفوسِهم ، وقد صار الشيخُ الكبيرُ بعدَ الخطإِ فى قصَّةِ يوسف يُلْهِبُ عواطفَهم ونفُوسَهم بالألمِ والحَسْرَةِ .

لقد كان لسانُ حال إخوةِ يوسفَ وبِنْيامِين وهما مِن أُمٍّ غير أُمّهم ، وإن كانت شقيقتَها ، لها ستُّ أبناءٍ من العشرة : كان لسان حالهم يقول : كيف نصدم الشيخَ الكبيرَ حين نعود إليه دون أخينا بنيامين ، الذى كان يُسَلِّيه نوعَ تسليةٍ عن أخيه يوسفَ .

إنَّه شيخٌ كبيرٌ وَهَنَ عَظْمُه ، وكُفَّ بَصَرُه ، آهِ من أن تكون صدمةُ بنيامين بعد صدمة يوسف قاسيةً ومريرةً على قلب « الشيخ الكبير » .

إنَّ الشيخوخة وكبرَ السنِّ ، والضَّعْفَ المُبَكِّرَ لأىِّ سببٍ ، وفقدانَ الإبْصارِ ، والعجزَ عن الحركةِ : إن كلَّ هذه الأسباب امتحانٌ عظيمٌ للنفوسِ الكبيرةِ ، امتحانٌ لذَوِى النُّفُوذِ والسُّلطانِ ، امتحانٌ لذوى القدرة والقوّة ، امتحانٌ لذَوِى المالِ والجاهِ ، امتحانٌ للقادرين كلٌّ فى محيط حياته ؛ لأن ذلك امتحانٌ لإنسانيَّةِ الإنسانِ ، وإنَّ أَخَفَّ ذلك كلِّه الكلمةُ الطيِّبَةُ !! فالجميع قادرٌ عليها ، وقَدْ نَبَّهَ اللَّهُ عزَّ

وجلَّ على ما للشيخوخةِ مِن حقوقٍ فى موضِعَيْنِ مِن القرآنِ بلفظِ « الشيخ الكبير » وهو لفظ يملأُ صفحات القلب الواعى البصير بكتاب عظيم ، يقرأُ فيه الإنسانُ حال البيت ، وحالَ الأمَّة التى تضَعُ الشيخَ الكبيرَ تاجًا على رءوسِ الجميعِ .

* * * *

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ . [سورة هود : ٦٩ - ٧٣]

الرحمةُ والعدلُ
فى رعاية ذى الشيبة والضَّعيف

إنَّ الرحمةَ والعدلَ دِعامتان لا غنى عنهما لبناء الأُمَّة الرائدةِ ، الأمةِ التى تطمئنُّ فيها القلوبُ ، وتسكنُ النفوسُ ، ويتساندُ أفرادُها وعشائرُها فى مَحَبَّةٍ ورِضًى ، يتعاونون على دَفْعِ الضُّرِّ وجَلْبِ الخير ، وتحقيقِ الأمنِ والرَّخاءِ والازدهار .

إنَّ الرحمةَ تبعثُ الوالدَ على رعايةِ وَلَدِه ، وحُسْنِ تربيتِه ، ليشُبَّ على مكارم الأخلاقِ ، ومحاسنِ الآداب ، يحترمُ الكبيرَ ، ويَرْحَمُ الضَّعِيفَ ، ويُحِبُّ الخيرَ ، ويجتنب الشرَّ .

لولا الرحمةُ ما رفَق الطبيبُ بالمريضِ ، يَرْعَى حالَه ، ويبذلُ من خبرتِه وعنايتِه ما يرى أنه الأَوْفَقُ فى الوصولِ بالمريضِ إلى الحالةِ التى هى أحسن ، ذلك لأنَّ الرحمة تجعل الطبيب يرى فى مريضِه أنَّه والدُه إن

كان أكبرَ منه ، أو أنه ولدُه إن كان المريضُ صغيرًا ، أو أنه أخوه إن كان مساويًا له ، وفوق ذلك وأعظم منه أن الطبيب يستحضر دومًا عظمةَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ الآمِرِ بالرِّفقِ والإخلاصِ ، وبالسَّعى إلى إزالةِ المعاناة عن المكروب والعاجز ، وإلى إعادة إشراقةِ الوجْهِ إلى البائس الضعيف .

ومع الرحمة فالطبيبُ يحقِّق العدلَ مع مريضه حين يَرى فيه نفسَه ، أو والدَه ، أو ولدَه ، وبالرَّحمةِ والعدلِ تعيشُ الأُمَّةُ راضِيَةً آمِنَةً بوشائج وعلاقات إنسانيَّة سليمة ، ومطابقةٍ لمقتضيات الفطرة الإنسانية السالمة من عوامل الانحراف .

ولعلَّ الأخ القارئ يوافقنى على أن كلَّ ذى مسؤوليَّة فهو طبيب ، لا غِنى لنجاحه في أداء مهامِّه عن الرحمة والعدل : فالوالد طبيب ، وإنَّ المعلمَ طبيبٌ أمينٌ على نفوس النَّاشئة من الصِّغار والشباب ،

يَرْعَى مستويات القُدرات والطّاقات النفسيَّة والعقليَّة ، يَعدل بين تلامذته ، وتَبْعَثُه الرَّحمةُ والخبرةُ إلى أن يأخذَ بيدِ المستوى الأدنى ليَصِلَ به إلى ما يُرْجَى له ، ويدفعُ فى رِفق وحزم المستوى الأعلى إلى الأمام ، ليتحقَّق منه آمالُ أُمَّتِه .

وصدِّقُونِى أنَّ ما يُقالُ عن الطبيب ، وعن المعلِّم ، وهما راعيان عَظِيمَا الشأنِ حملا أعظمَ مسؤوليَّة من مهامِّ الأُمَّةِ نحو أبنائها ، وإن ما يقال فى شأن رسالتهما ، يقال عن مهامِّ كُلِّ راعٍ فى موقِعِه ، فالواعظُ ، والخطيبُ ، والمتحدِّثُ ، والكاتبُ ، كُلُّهم مسؤول عن رعاية أحوال الأمَّة العظيمة ، أمةِ القيمِ الفاضِلةِ ، والمبادئِ الأخلاقيَّة السامية المستمدَّة من الوحى الإلهىّ ، الذى جاء بكلِّ خيرٍ ، وأمرَ بالفضيلةِ فى كلِّ موقعٍ ، وحذَّر من الشرِّ والفسادِ ، لتسلمَ الأمةُ مِن عواملِ الضَّعْفِ والذَّوبانِ فى بوتقةِ

الأُمَمِ التى أخطأت السبيل فى تفسير لفظ « الحرِّيَّة » فأساءت ولم تُحْسِنْ ، ودَمَّرَتِ النفوسَ ولم تُصلِحْ .

إنَّ كلَّ إنسانٍ فى موقعه راعٍ أمِينٌ ومسؤولٌ عن الذين تَتوجَّهُ إليهم حدودُ مهامِّه ، فيَنْبَغِى له أن يراعى فى أداءِ مسؤولياته الرحمة والعدل ، وبهما مع الخبرة تستقيم الأمورُ ، ويتحقَّقُ الأمنُ والازدهارُ .

الإسلام كرَّم الشيخوخة :

وإنَّ هذه اللَّفْتَةَ تَنْقُلُنا إلى موقفٍ للخليفة عمر بن الخطَّاب ، وقد كان عظيمَ الشعورِ بالمسؤوليَّةِ فى سياسَتِه للأُمُورِ : لقد أكرَم هذا الخليفةُ شيخًا يهودِيًّا كبيرَ السِّنِّ ، وأمَرَ بترتيبِ كفايَتِه مِن بيتِ المالِ ، وأكَّد على ضرورةِ إغنائِه وإغْناءِ أمثالِه عن سُؤالِ النَّاسِ ، ذلك أن الخليفةَ عمرَ بنَ الخطابِ كان يشعُرُ بأنَّ ضَياعَ الشيخ الكبير فى الأمَّة ذنبٌ يؤاخذُ عليه عندَ لقاءِ رَبِّه .

لقد رأى عمرُ بنُ الخطَّابِ الرجلَ اليهوديَّ العجوز

يتوكَّأُ على عصاه ، وقد مَدَّ يدَه للسؤالِ ، فسألَ عمرُ عن حالهِ .

فقالوا له : إنَّه لجأ إلى سؤالِ الناسِ بسببِ : ضعْفِ البصَرِ ، وكِبَرِ السنِّ ، والحاجة .

فرَحِمَ عمرُ ضعْفَ الرَّجُلِ وهو فى شيخوختِه ، وقد أدَّى التزاماته نحو الدَّولة وهو قوىٌّ مكتسِبٌ ، فقال قَوْلَتَه الشهيرةَ فى التَّاريخِ : أنأخُذُ التزاماتِه وهو فى شَبيبَتِه ، ونُضَيِّعُهُ فى شيخوخَتِه - أو نحو هذا المعنى - .

أى : كيف لا تقوم الدولةُ برعايتِه بعد أن عَجَزَ عن الكسبِ وصار ذا حاجةٍ .

لقد أمَرَ الخليفةُ عمرُ بأنْ يَقُومَ بيتُ المالِ بترتيبِ مبلغٍ مِنَ المالِ يَكْفِى حاجَتَه ، ويُغنيه عن ذُلِّ السُّؤالِ مَدَى حَياتِهِ .

إنَّ الشيخوخةَ مِن حالاتِ الضَّعْفِ التى تُوجِبُ

عَلَى الناسِ الرعايةَ والعنايةَ ، كلٌّ فردٍ حسب موقعِه ، وكلُّ مؤسَّسةٍ حَسب رسالتِها ؛ فإنَّ الشيخَ الكبيرَ أوْلَى الناسِ بالرَّحمةِ وبالعدلِ فى تحقيقِ ما يؤدِّى إلى طُمَأْنِينَةِ قَلْبِهِ ، وإلى عدم شُعُورِهِ بالضَّياعِ بينَ عشيرتِهِ وأهلِهِ ، أو فى وَطَنِهِ ، وإنَّ ما اختطَّه عمرُ بنُ الخطاب فى هذا الشأنِ إنَّما هو نموذجٌ إنسانىٌّ رفيعُ المُستَوَى يُرْضِى ربَّ العالمين ، فإنَّ نظرةَ عمرَ إلى أبناءِ الأُمَّةِ اتَّسَمَتْ بالاحترامِ للجميعِ ، وبالتكريمِ ، ورعايةِ حقوقِ الإنسانِ ، ومساواتِه أمامَ العدالةِ ، ذلك معَ حرِّيَّةِ كُلِّ مُواطِنٍ فِى معبدِه ، وإقامة شعائر دينه ، مع التَّأكيد على تحريم الدَّم ، والمال ، والعِرض ، فالجميعُ سواء المسلمُ وغيرُ المسلم ، هم أبناء أُمَّة واحدة ، يتعاونون على رِفعةِ شأْنِها وازدهارها ، ولكُلِّ مواطن حقوقُه وعليه واجباتُه ، وإنَّ الرحمةَ والعدلَ يُظَلِّلان الجميعَ .

لقَدْ سَمِعَ عمرُ بنُ الخطابِ التعاليمَ الإلهيَّةَ على لسانِ رسولِه محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّم . ومنها : « **مَن آذَى ذِمِّيًا فَقَدْ آذانِى** » وإنَّ الإيذاءَ كما نَعْلَمُ سلبٌ وإيجابٌ ، مثل كفِّ الأذى والبُعد عن الإضرار ، يقابله تحقيق الأمن وإيصالُ الخير للجميع .

لذا لم يترك عمرُ الشيخَ المتهدِّمَ عُرضةً للضَّياعِ ، ولتكبُّدِ المشاقِّ ، فجعل مسؤولية الإحاطة برعايتِه إلى بيتِ مالِ الدولةِ على نحوٍ مُنظَّم .

إنَّ إكرامَ الضَّعيفِ ، وتوقيرَ الشيخِ الكبيرِ ورعايَتَه ، والسَّعْىَ فِيما يُحَقِّقُ له الأمنَ والكفايةَ ، إنَّ هذا ونحوه من أسبابِ مَرضاةِ اللَّهِ عزَّ وجَلَّ ، ومِن الأدلَّةِ عَلَى أنَّ القلبَ الرَّحِيمَ يُراقِبُ اللَّهَ ، فى رَحْمَتِهِ بالضَّعِيفِ وإكرامِ ذِى الشَّيْبَةِ .

ومِن التَّوجيهات السامية فى تربية الأُمَّةِ ما رواه البخاريُّ عن أبى هريرة : « **مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنا ،**

وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنا ، فَلَيْسَ مِنَّا » . أى ليس على أخلاقِنا ولا طريقِنا ، ولا طريقتنا .

وفى رواية أبى أمامة عند البخارى : « **مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنا وَيُجِلَّ كَبِيرَنا فَلَيْسَ مِنَّا** » .

نسألُ اللَّهَ أنْ يَجْمَعَ القلوبَ على الْمَحَبَّةِ والرَّحْمَةِ والخَيْرِ .

* * * *

توصيات لأصحاب القلوب الواعية :

« من الكبائر شتْمُ الرَّجل والديْه : قيل : وهل يسبُّ الرَّجلُ والديْه ؟! قال : نعم ، يسُبُّ (الرَّجل) أبا الرَّجُل ، فيسُبُّ أباه ويسُبُّ أُمَّه » .

[متفق عليه والراوى عبد اللَّه بن عمرو]

« رِضَىٰ اللَّه فى رِضَى الوالديْن » .

[أخرجه الترمذىُّ وصحَّحه ابن حبَّان والراوى ابن عمر ﷺ]

* * * *

اقرأ وتأمّل وفسّر لنفسك

قال أبو زيد البلْخيُّ : «مَخارِجُ العلومِ أربعةٌ :

• عِلْمٌ رَافِعٌ ، وعِلْمٌ ساطِعٌ ، وعِلْمٌ نافِعٌ ، وعِلْمٌ واضِعٌ :

أمَّا العِلْمُ الرافِعُ ، فهو العِلْمُ الشَّريفُ مِن الأحاديثِ الشَّريفةِ ، والفِقْهِ (فى الدِّينِ) .

وأمَّا العِلْمُ السَّاطِعُ ، فهو عِلْمُ الأدَبِيَّاتِ (الشِّعْر والنَّثر بفنونه) والأخبارُ الرَّقيقةُ (التَّاريخ ، والسير والطرائف ، والتَّراجم) .

وأمَّا العِلْمُ النافِعُ ، فهو عِلْمُ الطِّبِّ ، ومعرفةُ الحسابِ (أى وسائر العلوم الطبيعيَّة الكونيَّة ، والعقلية والمهنيَّة النافعة) .

وأمَّا العِلْمُ الواضِعُ (أى العلم الخسيس كأصحابِه) فهو عِلْمُ الكَهَنَةِ مِنَ السِّحْرِ وما أشْبَهَه (كأعمالِ الدَّجَّالِينَ ، والمُنَجِّمين ، وضارِبِى الوَدَع ،

والمُخَطِّطِين عَلَى الرَّمْلِ ، ونحوِهم من الكذَّابِين الفُجَّار وقد زاد خطرُهم فى عصرِ شاشاتِ التلفزةِ ، أعاذَنا اللَّهُ مِنْ شُرُورِهِم) .

وأفضلُ هذه العلومِ ما يَنتفِع به الإنسانُ لدينِه ودُنياه .

وفى الحِكْمَةِ :

ما حَوَى الْعِلْمَ جَمِيعًا واحِدٌ
لا ، وَلَوْ مَارَسَهُ أَلْفَ سَنَهْ
إِنَّما الْعِلْمُ لَبَحْرٌ زاخِرٌ
فَاتَّخِذْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهْ

● أَوَّلُ الْخَلْقِ :

خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ (القلم) قبلَ (العَرْش) ، ومِمَّا جاءَ عِنْدَ الترمذىِّ رواية عبادةَ بن الصَّامت رَضِىَ اللَّهُ عنهُ قولُ الحبيبِ المُصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .